الجـزء الثـالث

أحـــــلام الشيـاطـــين

(١) هذا الرجل ماذا يريد ؟
(٢) شبهة أن: جعلناه رئيسًا
(٣) رحلة الاستمالة العبثية
(٤) أحلام المعلم إمام
(٥) سر الحفرة التى بها المال
(٦) أنت الخوذة الصدئة التى نقوم بتلميعها
(٧) إن لم تنتخبنى ستدخل السجن
(٨) لا تنس أنه شيك رشوة
(٩) إذا تغابى فانسفوه
(١٠) الحكومة المخدوعة

(١)

هـذا الرجـل ... ماذا يريـد ؟..

يمكنك فى مجال الفخر بنفسك مستعرضًا قوة إرادتك أن تعترف ـ بلا خجل ـ أنك وقعت ذات يوم فى ورطة الإدمان . . ثم تقول إنك سرعان ما انتشلت نفسك من هذا المستنقع بقدرة ذاتية ملؤها العزم والتصميم . .

وفى بدء تعرفى على المعلم إمام الإمام فتح لى قلبه ولم يخجل من الاعتراف أمامى من أنه وفى غمرة آلامه وأحزانه بسبب قضيته التى لا تُنسى مع مافيا التجريف ، ثم خلافاته مع زوجته سقط فى بئر معاقرة الخمر . . حتى أنها لم تأكل منه المال فقط ، بل أكلت منه جسده ومزاجه وأبعدته عن الصلاة . . . .

تذكرت هذا الاعتراف الذى أنهاه إمام إمام يومها بكلمات تدعو إلى الفخر ، وكيف أنه تمكن من أن يطلق الخمر بنفس السهولة التى طلق بها زوجته طلقتيها الأولى فالثانية . .

وكان تذكرى لتلك الواقعة سببه ما لاحظته على إمام من شرود لا قِبَل لنا به ، ومن جنوح ملحوظ بعيدًا عن دائرة الحوار الذى يدور فى أول اجتماع للّجنةَ التأسيسية . . حيث كنا نهيئ أنفسنا لتسجيل لفتة تاريخية نهديها إلى الأستاذ أحمد منصور عندما نُجمع جميعًا على اختياره رئيسًا للحزب بالتزكية . . بل وتمنحه الصلاحية فى تحديد نائبه والسكرتير وأمين الصندوق . . وكان من نصيبى أن أكون أول المتحدثين . .

ما كدت أبدأ كلماتى الهادئة ذات المقدمة المليئة بالفخر والإعزاز ذاكرًا للرجل مزاياه . . ونصاعة تاريخه وكفاحه المشرّف الذى لم ينل منه اليأس والفتور على مدى هذا العمر حتى أرسى قواعد هذا الحزب الواعد .

«ولذا فإننا كنخبة مؤسسة لهذا الكيان الصاعد نبارك لك مقعد الرئاسة الذى يفخر بك قبل أن تفخر به . . و . . » .

أقول ما كدت أبدأ كلماتى . . حتى قاطعنى إمام رافعًا يده اليمنى . . «نقطة نظام» . . وقبل أن أتوقف عن الحديث لأعطيه الكلمة بادرنى قائلاً :

ـ من فضلك تحدث عن نفسك فقط . . هل استطلعت رأيى وأخذت موافقتى على هذا الكلام الذى تقوله؟ . .

أخذنى الذهول والتردد وتاهت منى الإجابة التى لم تكن موجودة فى أى ركن من وجدانى . . وسرعان ما قلت له :

ـ الأمر لا يحتاج إلى موافقة . . أو استطلاع رأى . . أفهم من هذا أن لك رأيًا آخر؟ . .

رد بنفس السرعة :

ـ وإن لم يكن لى رأى فما فائدتى؟ . . أترانى مجرد جثة تجلس أمامك على هذا الكرسى؟ . .

أرسلت نظراتى لكل من حولى وكأنى أستنجد بهم . . وسرعان ما نَجَدنَى أحمد منصور قائلاً :

ـ فلتؤجل كلمتك يا سيد جورج إلى أن نسمع السيد إمام . . تفضل يا سيد إمام . .

تنحنح إمام واعتدل فى جلسته وراح ينقر بسبابته اليمنى على ظهر المنضدة . . وابتسم ابتسامة غائمة وهو يقول :

ـ اتفقنا أن تنادونى بالمعلم إمام . . المعلم إمام الذى جاء ليتعلم منكم الديمقراطية ويمارسها على يد أساتذة كبار مثلكم يعلن أسفه لأنكم وأنتم تضعون الأساس نسيتم معالجة التربة الصالحة للتأسيس . . ليس من الديمقراطية أن نتخلى عن أصواتنا وننساق مثل من سبقونا من منافقين فى تعزيز فرد واحد على حساب المجموع . .

وصمت قليلاً . . ثم رفع إلينا وجهه المحتقن بدماء طازجة . .

ـ أنا شخصيًا أرشح نفسى الآن وأمامكم لمقعد الرئاسة . . أليس هذا من حقى؟ . .

تململ أحمد منصور قليلاً . . ثم هتف :

ـ إنه حقك بالفعل . . لقد وجّهت أنظارنا يا إمام لأمر هام وأبعدتنا عن خطأ كنا سنقع فيه . . خطأ عدم فتح باب الترشيح بيننا نحن الخمسة . .

انبرى مفتاح الصاوى للحديث مقاطعًا أحمد منصور :

ـ أى خطأ يا سيد منصور؟ . . وأى حق تتحدث عنه؟ . . هذا الرجل لا يعى ما يقول . . جمال عبد الناصر عندما قام بالثورة توارى فى الخلف وقدّم للناس شخصية محمد نجيب حتى يضمن اجتماع الناس حول الثورة . . فقد كان لنجيب قيمته السياسية التى وظّفها عبد الناصر لصالح الثورة (ثم التفت إلى إمام مواصلاً حديثه) : وأنت ما قيمتك حتى نقدمك للناس بدلاً من أحمد منصور؟ . .

ثم رماه بنظرة لا تخلو من ازدراء قائلاً :

ـ كيف تكون أقلنا خبرة بالعمل السياسى . . بل أقلنا ثقافة وتاريخًا وتفكر فى القفز على مقعد الرئيس؟ . . ألا ترى أنك تمنح نفسك ما لا تستحقه؟ . .

احتقن وجه إمام بدماء جديدة ثم ضرب المنضدة براحته اليمنى . . وهتف :

ـ ولهذا . . وردًا على هذا الكلام المهين لن أتخلى عن ترشيح نفسى . . حتى لو حصلت على صوت واحد هو صوتى أنا . .

قالت راوية بهدوء :

ـ أنا واثقة أنك لن تحصل حتى على صوتك نفسه ؛ لأنك ستعطيه للأستاذ منصور . .

ثم توجهت بالحديث إلى أحمد منصور :

ـ أنا فهمت ما يفكر فيه المعلم إمام . . إنه يريد ممارسة فعلية للديمقراطية ، وتحقيق فكرة الانتخاب والاختيار الناجم عن منافسة فعلية . .

قال لها أحمد منصور :

ـ أنا الآخر فهمت هذا . .

هتف المعلم إمام :

ـ افهموا ما تفهمون . . أنا لا أخرج تمثيلية . . أنا أعى ما أفكر فيه . . أنا مرشح حقيقى أمامك يا أستاذ منصور . . وسوف أبدأ من الآن فى بث الدعاية لنفسى لدى كل أفراد الجمعية التأسيسية . . أو اللجنة التأسيسية . . أو حسب ما تسمونها . . بل إنى أنصح أن ينضم إلينا فى الترشيح واحد منكم ولتكن الدكتورة راوية . .

أقول : إننى تذكرت مسألة الخمر التى أقلع عنها إمام منذ سنوات بعيدة . . وتساءلت إن كان قد عاد إليها . . ومنذ متى؟ . . لا شك أنه عاد إليها وهو فى طريقه إلى هذا الاجتماع . . وإلا بماذا نفسر هذا التحول المفاجئ وتلك النقلة المختلفة في هذا التوقيت القاتل . .

لقد كان يمكننا أن نطرح اسم أحمد منصور فى مؤتمر الجمعية العمومية الأول للحزب ويقبل اختيارنا له كرئيس للحزب . . ولكن ما وضعناه فى لائحتنا الخاصة كان من شأنه تفعيل دور المائدة المثلثة فى اتخاذ القرارات الهامة والتاريخية ، بدءاً من انتخاب رئيس الحزب ومساعديه ، حيث كان أهم ما حصلنا عليه من الجمعية العمومية هو إعطاء الصلاحيات لأعضاء المائدة المثلثة باعتبارها صلاحيات منبثقة وممتدة ومكملة لصلاحيات الجمعية العمومية . . .

وكان أقرب تشبيه لهذه العلاقة بين الجمعية العمومية وأعضاء المائدة المثلثة هو التشبيه الذى أطلقه مفتاح الصاوى ؛ حيث تصور أن الجمعية العمومية هى صالة المصنع التى تعج بالعمال المنتجين والماكينات الهادرة . . وأن ما تتطلبه عملية الإنتاج من خطط وأبحاث وسياسات يتم رفعها إلى الإدارة بما فيها من علماء وباحثين ـ أى إلى المائدة المثلثة ـ . . الذين يقومون بدورهم بإعادة مد الصالة بما توصلوا إليه من خطط وتعليمات للعمل بها . . إنها التغذية المتبادلة بين الجذور والفروع . . كلما تعمقت الجذور ضاربة فى الأرض بحثا عن ماء الحياة كلما ازدهرت السيقان والفروع والأوراق وأينعت الثمار . . ومع هذا فقد بدا لنا أننا نعبر مأزقًا حادّا وضَعَنا فيه المعلم إمام وأخَذَنا اليقين بأننا سرعان ما سنعبره ، ولكن ما حدث بعد ذلك جعلنا نتأكد أننا كنا واهمين . .

لقد أعلن إمام أن اليوم الأخير فى المدة المضروبة سلفًا لاختيار رئيس الحزب سيكون هو اليوم الحاكم فى اختيار الرئيس والتصويت عليه علنا أو سرًا فى جلسة خاصة تعقد لهذا الغرض، وما دام ينفصلنا عن هذا الموعد اثنا عشر يومًا من الآن فهو لن يلعب فى الخفاء، بل سيعمل على تزكية اسمه وشخصه لدى ممثلى الشعب، أى لدى الستة المتحركين.. لدى سَاقَى المثلث.. وأنه لن يفعل ذلك إلا علنًا.. وأضاف وقتها قائلاً: (وأرجو ألا يأخذكم الظَن أننى أتبنى موقفًا يتسم بالأنانية أو شهوة الاستيلاء على المقاعد الهامة لمعالجة نقص ما فى نفسى وخلل خفى فى تركيبتى الشخصية، بالعكس.. أنا إنسان بسيط.. وبساطتى تدعونى أن أمارس الاتساق فى حياتى.. ولن يتسق أن أنضم إلى حزب جديد قوامه ممارسة الديمقراطية ثم نتخلى عنها متأثرين بما سئمنا منه فى المؤسسات العفنة الأخرى باستخدام المواقف القبلية الممجوجة وذلك بتعلية شخص بلا مبرر سوى أنه صاحب فكرة واحدة.. وهى فكرة عمل الحزب، فى حين أنه من المحتمل أن يوجد حوله من يحملون أفكارًا أكثر أهمية...).

لقد أسقط فى أيدينا.. وكان الذهول الذى أخذنا يحمل فى جانب منه شيئًا من الإعجاب المستتر، والذى لا يمكن لأحدنا أن يعلنه بأية طريقة ممكنة.. فها هو الرجل الذى يعتبر أقلنا ثقافة وتجربة وخبرة يبعث نوعًا من السخونة المفاجئة فى جلستنا الأولى نحن الخمسة قبل أن ندعو ذراعى الاجتماع المثلثى.. الذراعين اللذين استوحيناهما من فرعى النيل الشهيرين: دمياط، ورشيد.. ونحن نرسم شكل المنضدة الدلتاوية لحزبنا الوليد..

كان مفتاح الصاوى متفجرًا وناقمًا وحادًا، و[illegible]ً من أن يكون صاحب موقف هادئ ومتروٍ أصبح يقف على الطرف النقيض من ذلك.. دون أن يدرى أن لموقفه هذا فعله السيىء فى تفجير ما كان يمكن إبطاله من تحدٍ كان مزروعًا داخل إمام..

أما الدكتورة راوية فلم تستطع أن توارى خيبة أملها إزاء استهجان إمام لتفسيرها النبيل لموقفه البادى وأن ما افترضته من أن المعلم إمام ينشد الأخذ بالشكليات ـ إتمامًا للعمل بمبادئ الديمقراطية من: حق الترشيح.. وتداول السلطة.. واحترام كل الآراء أيًا كان شكلها وماهيتها.. فإن هذا الافتراض كان مجرد افتراض طائش ساءها أن تبتلع مرارة تسخيفه من قِبَل إمام على مرأى من الجميع.. أما ما استبد بى أنا من اهتمام

فهو معاودة التفكير فى عمق ما ينشده هذا الرجل . . وماذا يريد؟ . . وكيف لم يطرأ ببال أحدنا أنه من الممكن ـ لاختلافه عنا ـ أن يختلف معنا؟ . . وكيف لم يستشعر أحدنا هذا الهواء الخفيف الذى سيتحول فجأة إلى عاصفة كفيلة باقتلاع الأبواب والنوافذ التى تحمى جمعنا الوليد .

بلع أحمد منصور ريقه . . ودهس عقب سيجارته فى المنفضة . . وراح وهو يمعن فى دهسها يردد مع هزات متوالية من رأسه . .

ـ بالنسبة لى ، فأنا لا أرى ما يشين فى موقف السيد إمام إمام ، مع احترامى لاعتراض السيد مفتاح الصاوى على هذا الموقف . . فقط كل ما يؤلمنى أن نبدأ عملنا بهذا النوع من الصراع . .

لاحقه إمام إمام :

ـ بالعكس يا أستاذنا . . الصراع مطلوب . .

رفع أحمد منصور ذراعه اليمنى فى الهواء فاردًا راحته فى مواجهة إمام فى طلب واضح أن يكف عن الحديث حتى ينتهى من كلامه :

ـ ومع هذا فيمكننا أن نتفق الآن أن باب الترشيح مفتوح ، وأن السيد إمام أول من رشح نفسه فى مواجهتى . . أقول هذا حتى تتخذوا الإجراءات الرسمية لإعلان هذا ، وعمل اجتماع تمهيدى للجنة الدائمة وتحديد يوم الانتخاب . .

ثم راح يتأملنا بعمق باحثًا فينا عن قولٍ جديد أو فعلٍ جديد . . ولما لم يجد أردف :

ـ واضح أنه لا رغبة لأحد آخر فى الترشيح . . إذن ، فلنرتب أنفسنا على اسمين : إمام إمام وأحمد منصور ، والتصويت بعد اثنى عشر يومًا من اليوم . . هل نواصل الاجتماع بالانتقال إلى بند آخر . . أمْ نُرجئ الاجتماع إلى ما بعد الاستراحة؟ . .

قام مفتاح الصاوى فاردًا طوله . . وهو يردد :

- لا بند جديد . . ولا استراحة . . الأفضل أن تنهى هذا الاجتماع ، وتحدد موعدًا جديدًا مع باقى الأعضاء الجدد . . أقصد المتجددين . . عن إذنكم . .

وانصرف مفتاح الصاوى انصرافًا دل على ضيقه وتبرمه واحتجاجه . . وتركنا خلفه وقد زادت نبرة الضيق فى همهماتنا . . ولسعة الألم فى نفوسنا . .

وأخذنا نغادر مأوانا اليتيم فى دار الأيتام فرادى . . ولم يحدث أن واتت أحدنا الرغبة فى محادثة الآخر . . ربما لأن كل واحد منا كان يتأمل ما بداخله من قلق . . أو يرنو لصوت الشتات آتيًا من مكان مجهول . . أو يتأمل أعاصير تنعقد بؤرتها عند الأفق البعيد وهى فى طريقها إلينا . .

فلم القلق؟ . .

ولم الخوف من التشتت؟ . .

ولم مراقبة العواصف، ونحن بالكاد نخطو فى المضمار الفسيح خطواتنا الأولى؟ . .

فإلى أين؟ وكيف ستكون خطواتنا التالية؟

لعل هذا ما يخيفنا ويدعونا إلى . . القلق . .

أجل . . إلى القلق! . .

* * *

(٢)

شُبهة أن : جعلناه رئيسًا

القاهرة / جاردن سيتى

سرى وهام **السفارة الأمريكية**

السيد / نائب وزير الخارجية

بعد التحية :

كان لا بد للجانب المصرى أن يتابع عبر وسائله الخاصة ما نقوم به من تدخل ـ بدا ملحوظًا ـ لتعزيز صعود حزب (مصر . . الأم) وكان لا بد من الرد عليهم ، ولا نُنكر هذا التدخل احترامًا لذكائهم وما توصلوا إليه من معلومات دقيقة حتى أنهم صاروا يضعون المعلم إمام إمام ـ مثلنا ـ تحت الميكروسكوب . . ورغم مخاوفنا من أن يفسدوا علينا ما نقوم به فقد كان أقل هذه المخاوف أن ينهار السيد / إمام فى أى موقف . . إلا أن ما راهنّا عليه من دهاء هذا الرجل وقوة شخصيته جاء سليمًا وفى موضعه الصحيح . . لقد قلب هذا الرجل المائدة على الأربعة الكبار المؤسسين للحزب ووضعهم فى حيرة من أمره وأمرهم . . ووجدناه لم يتبع تعليماتنا وتوصياتنا فقط ، بل زادها رونقًا من عنده بالشكل الذى جعلنا فى ذهول ونحن نستمع إلى حواراتهم عبر ميكرفونه الصغير المعلق خلف ياقة سترته . .

نعود إلى الجانب المصرى الذى يحاول أن يجد تفسيرًا لما نفعله . . وحتى نسبر

غورهم، فقد طلبنا من لجنة السياسات بالحزب الوطنى أن يحددوا لنا اسم من يثقون به ليجتمع بنا حتى نطرح أمامهم عبر هذا المندوب (حقيقة) ما نفكر فيه . .

جاءنا مستر (لاوندى) وهو أستاذ جامعى وخبير فى العلاقات الدولية وكاتب مهم يكتب المقالات السياسية وينشرها فى صحيفة الأهرام . . وأهم ما تعرفنا عليه فى ملفه قبل تشريفه لنا أنه لا يتحيز بأى حال للحل الأمريكى، بل يسبغ على الولايات المتحدة الأمريكية وصف أنها دولة الشر الوحيدة فى العالم . . ويراهن على انهيار قريب للمؤسسة الأمريكية التى تتآكل من الداخل كما يقول . .

لقد لمَحْنا ـ مقدمًا ـ سبب قيام لجنة السياسات بإرسال مستر (لاوندى) بالذات . . فمستر (جمال مبارك) هو الآخر لا يخلو من دهاء، واختار لنا من يمكن أن يفهمنا - لو كنا صرحاء - وأن يفهم ما يمكن أن يتوارى من قول صحيح خلف أكاذيبنا . . لو كنّا كاذبين . .

أما ما طرحناه أمام مستر (لاوندى) فكان ببساطة شديدة هو الآتى :

١ ـ نحن نعلم أن الحزب الوطنى سيطرح اسم مستر (جمال مبارك) كمرشح عن الحزب فى انتخابات الرئاسة القادمة .

٢ ـ ونحن نعلم أن التوجس الذى يأخذ بنفوس الناس من فكرة توريث الحكم سيظل قائمًا إلى أن تعلنوا ترشيح مستر جمال . . وأغلب الظن أنه سيظل قائمًا بعد هذا الإعلان . .

٣ ـ ونحن نعلم أن الأخذ بسيناريو الترشيح «أسوة بباقى الأحزاب التى سترشح أسماء من عندها لخوض الانتخابات» لن يقنع طبقة المثقفين ومختلف النقابات والاتحادات التى يندس فى أعضائها بعض المتشددين الرافضين لهذه الطريقة الملتوية لتداول السلطة .

٤ ـ ونحن نعلم ـ كما تعلم جماهير الشعب المصرى ـ أن الأحزاب القائمة (التجمع . . الوفد . . الناصرى . . الأحرار) كلها لا يملك أحدها قاعدة جماهيرية عريضة كفيلة بمواجهة الحزب الوطنى، ليس بحكم قوة الحزب وتغلغله فى نفوس

الجماهير ـ فهو ليس كذلك ـ ولكن بحكم ما سبق من تجارب فى الانتخابات استطاع فيها الحزب الوطنى بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة الاستحواذ على مقاعد كان يجب أن تكون لأحزاب أخرى . .

٥ ـ ونحن نعلم أنكم لن تستطيعوا إقناع الأحزاب الأخرى بالتكتل فى شكل حزب واحد لمواجهة الحزب الوطنى .

٦ ـ ونظرًا لاقتناعنا بضرورة ضمان منافسة حقيقية بين حزبين قويين فإن ظهور هذا الحزب الجديد وما يحمله من فكر وطنى ـ بدأ برفض الفكر الموجود على الساحة وما تبع ذلك من هرولة الناس للانضمام إليه ـ فإن هذا النجاح السريع يجعل الفرصة سانحة لهذا الحزب لتحقيق فكرة التنافس الحقيقى . . لكونه وُلد ولادة طبيعية لا شبهة فيها . .

٧ ـ ولأننا نأمل فى فوز السيد جمال مبارك فإننا نريد له فوزًا مقنعًا لا يحمل شبهة أن (جعلناه رئيسًا) ولكن يحمل حقيقة أن (انتخبناه رئيسًا) ولو بدأ عهده بهذا المفهوم فسوف يظل طوال مسيرته مفعمًا بأقوى إحساس يحمله رئيس ما من أنه (رئيس منتخب) تلك الصفة التى يتمتع بها رؤساء أمريكا وسائر الدول الغربية الديمقراطية المتقدمة . .

٨ ـ إننا لا نصنع حزبًا لمواجهة حزبكم . . فهؤلاء الرجال لا نعرفهم ولا يدينون لنا بالولاء . . ولكنا عثرنا بالصدفة على تجربة ولدت بريئة ومليئة ومشرقة وقريبة مما يحدث عندنا فتحيزنا لتعزيزها أخذًا بما نراهن عليه الآن من بث الديمقراطية فى منطقة الشرق الأوسط لوقف الديكتاتورية والتسلط والظلم ، وهذا ـ كما تعلمون ـ السبب الرئيسى فى سطوة الإرهاب الذى صار دوليًا ، وصرنا نعانى منه . .

٩ ـ لنترك لهذه التجربة حظها من النجاح المستحق وكل ما فعلناه أننا أقَلْنا من طريقها العثرات الروتينية التى تتمسكون بإلقائها أيها المصريون أمام كل غرض نبيل وحالة نبيلة تطل بعنقها فى مجال السياسة أو الاقتصاد أو الاختراع . . وتلك مصيبتكم التى يجب أن تبحثوا عن سرها وتعالجوه . .

لقد استمع إلينا مستر (لاوندى) طويلاً ، وبدا كمن داخله الاقتناع بما قلناه ، ولكنه

أبدى اعتراضًا بدا وجيهًا وهو أنه كان من الممكن أن يفهم سر تحيزنا للسيد أحمد منصور ـ فيما لو تحيزنا له ـ ذلك أن هذا الرجل يحمل فكرة القومية المصرية، ولديه اعتراض ما على فكرة القومية العربية التى صدّعكم بها جمال عبد الناصر . . ومع هذا فمن الواضح أنكم أدرتم ظهركم له ويممتم وجوهكم شطر المعلم إمام إمام الذى لا يحمل أى فكر . . هل من المعقول أن تعملوا على تصعيد شخصية ميكانيكى معدات ليقود أمة؟ . .

هكذا ألقى مستر (لاوندى) بهذا السؤال فى وجوهنا . . ولما غابت عندنا الإجابة عاجلنا بقول آخر : ألا تلاحظون أن ما أخذ على مستر (كيرى) مرشح الرئاسة عندكم والقادم بقوة أنه أتى بنائب يفتقد الإلمام بالسياسة؟ . . وألا تلاحظون أن ما وصل إليه (بوش) من طحن لعظام أمريكا معنويًا على مستوى العالم سببه أنه (جُعل) رئيسًا ولم (يُنتخب) رئيسًا . . وأنه أزاح (آل جور) بشكل مريب؟ . . مما جعلكم تدفعون ثمن حماقاته العسكرية؟ . .

وأضاف مستر (لاوندى) : يبدو لى أن ثقافتكم الجديدة التى تعتمد على السيناريوهات المسبقة لشغْل المقاعد العالية بمن لا يستحقونها لن تحقق لكم ما تصبون إليه من نشر الديمقراطية فى الشرق الأوسط . . اتركوا الشرق الأوسط لأهله فبداياتكم لا تبشر بخير . . فسوف يفعل أهل الشرق ما يحلو لهم، ولن يأخذوا من أوامركم إلا ما يروق لهم منها . . تمامًا كما راق لأمير البحرين أن يُحوّل إمارته إلى مملكة بجرة قلم . . فبدلاً من أن يقلبها الشعب إلى جمهورية حولها هو إلى مملكة . .

لقد نهض مستر (لاوندى) وهو يتأهب للانصراف حاملاً حقيبته الصغيرة ورنا إلينا بنظرة متفحصة وبلغته الفرنسية الطليقة ـ التى كنا نتابعها عبر أجهزة الترجمة ـ ثم ألقى بسؤال ساخر :

ـ هل يمكننا وصف الزمن القادم فى شرقنا البائس بأنه زمن المعلم : إمام إمام؟ . .

ويبدو أنه لم ينتظر منا إجابة ما، فصافحنا بأدب جم ثم انصرف . .

سيادة النائب :

هذا آخر ما دار بيننا . . وآخر ما تقوم به فى تدعيم إمام فى المنافسة على رئاسة الحزب . . لقد رسمنا له خطواته فى الاتصال بذراعى المائدة المثلثة . . وماحولها من ستة أصوات كفيلة بتنصيبه دون منازع . . ويجدر القول إنه برغم ما قاله ورفضه مستر (لاوندى) فإن اقتناعنا بشخصية إمام إمام يزداد يومًا بعد يوم . .

وتقبلوا تحياتى . .

السفير

التوقيع : . . . . . .

واشنطن

سرى وهام

وزارة الخارجية

سيادة السفيـر .

تحياتى :

يبدو لى أنكم تسرعتم فى كشف كل أوراقكم أمام مستر (لاوندى) مندوب لجنة السياسات . . لقد كنتم فى حلٍّ من ذكر النقاط التسع التى وردت فى خطابكم . . وكان يمكنكم الاكتفاء بذكر بداية تعرّفكم على عناصر هذا الحزب فقط . . تلك البداية التى انزعجنا فيها من ذكر كلمة (القاعدة) بين أناس يجتمعون ويتعاطون السياسة . . لقد كان من حقنا متابعتهم ومراقبتهم إلى أن نطمئن إلى حقيقة وضعهم التنظيمى . .

عمومًا . . وما دام قد سبق السيف العزل . . فلا مناص من الاستمرار فى أن تفكروا فى طريقة مستترة لتمويل مستر إمام للنهوض بالحزب فور توليه رئاسته . . وأعتقد أن إفراجكم عن شقيق زوجته السرية ـ ذلك الشقيق اللغز ـ جاء فى موعده ومنحنا ثقة إمام الذى يبدو أنه استمرأ السيناريو وراق له ما يحدث . . لذا فيجب تدعيمه ماليًا فى استمالة الأعضاء الستة الذين نعقد عليهم الأمل فى تفوقه . .

مع تحيـاتى

نائب وزير الخارجية

التوقيع : . . . . . .

(٣)

رحلة الاستمالة العبثية

١ ـ نورا إبراهيم جعفر :

لم تصدق نورا إبراهيم جعفر نفسها وهى تحتل سريرًا فخمًا فى غرفة فخمة بأحد المستشفيات الاستثمارية بالمهندسين . . لم يكن فى ظنها أنها وهى القادمة برفقة شقيقتها المريضة سعاد أنها ستخضع هى الأخرى لفحوص طبية لم تطلبها ، فقد كان يكفيها بل يُبهرها تحقيق العرْض الذى تطوع به رجل الحزب إمام إمام من علاج لأختها سيتكفل به مقابل أن يضمن صوتها لاختياره رئيسًا للحزب . . وفى الطريق علم الرجل من سعاد أن نورا تعانى من متاعب فى الحمل ، وأن زواجها مهدد بالانهيار بسبب حالة الزهق واليأس التى ألمت بزوجها ، والتى أوشكت أن تدفعه للزواج بغيرها . . عندئذ سارع رجل الحزب الكريم السخى فاقترح على نورا أن تطمئن وتترك أختها سعاد فى الطابق المخصص لمعالجة مرضى الكلى وتوافق على خدماته الجديدة لها بالرضوخ لفحوصات متقدمة ، وتصعد معه إلى قسم أمراض النساء لتجنيد كل الأطباء لفحصها ومن ثم علاجها . .

ونورا رغم ما هو معروف عنها من عشق لقراءة الصحف وأنها تُعتبر فى قريتها ـ التابعة لمركز شبين القناطر ـ من القرويات المستنيرات ، إلا أنها لم تفهم بشكل كامل وجلى كل ما يقوله (الأستاذ) إمام . . فالرجل بكل ما فيه من رقة وأدب ينتهز الفرصة السانحة ليدنو من سريرها ثم يطوف بها رويدًا رويدًا فى أروقة السياسة . . ثم يطلعها على برنامجه فيما لو صار رئيسًا للحزب :

ـ « . . صحيح أن أحمد منصور رجل له قيمته إلا أن هذه القيمة لن تفيدنا بشيء إذا تمسك بها وتعامل بعنجهية مع الحكومة . . إنه دائمًا يقف على الطرف الآخر من الحكومة . . والحكومة لن تتورع عن القيام بهدم الحزب إذا ترأسه عدوها أحمد منصور وبدأ فى رشقها بما لذ وطاب من اتهامات جاهزة عنده سلفًا . . » . .

نورا قالت لنفسها : وأين ـ إذن ـ يقف الحزب المعارض من الحزب الحاكم؟ . .

ثم رددت ـ أيضا ـ لنفسها : لا أعتقد أنه يقف فى نفس الطرف . . وإلا فكيف يكون حزبًا معارضًا؟ . .

لقد تحرك فى قلبها وهى الريفية البسيطة بعض القلق . . فلا يستوى ما يقوله هذا الرجل مع ما تمليه طبائع الأمور . . إنه يدس دسًا سيئًا فى حق أحمد منصور الذى يعلمون عنه أنه العمود الفقرى للحزب . . فهو الذى يتوسط المنصة فى كل الاجتماعات . . وهو الذى يعطى الكلمة ويحاور الناس . . وهو الذى يَلْقى الاحترام والتبجيل من أعضاء المنصة بالشكل الذى يؤكد أنه كبيرهم . .

«إذن ، فما الذى ينشده هذا الرجل الكريم؟ . . أم أن هذا الكرم المفاجئ والقسرى هو أحد المداخل للنيل من أحمد منصور فى غيابه؟ . . لقد جئت إلى هنا بعد اتفاق معلن . . وافقت على إعطائه صوتى مقابل إنقاذ حياة أختى . . وأما ما زاد عن الاتفاق من تكلفة تحملها لعلاجى ، فهذا تأكيد من عنده لوقوف غير مشروط بجانبى لا بد أن يوازيه وقوف مماثل وغير مشروط من جانبى . . » .

كان ما يقدمه إمام إمام لصوت واحد من الأصوات الستة التى يطاردها ـ وهو صوت نورا جعفر ـ يحمل قيمة عالية هى قيمة الإنقاذ من الموت الذى يهدد أختها المريضة . . ثم قيمة بث الحياة فى رحم نورا المعطّل . .

وكانت نورا تضع كل هذه القيم العالية فى كفة وهى تقارنها بما ستضعه فى الكفة الأخرى من بيع فاحش لصوتها ، وهى التى لم يسبق لها أن أحست بقيمة هذا الصوت قبل الآن . .

وتعود نورا إلى نفسها لتناقشها فى مسألة بيع صوتها . . فتتساءل : ومن قال إننى كنت قد وهبت صوتى مقدمًا للسيد أحمد منصور؟ . . هل لأن كل الأعضاء المتجددين

قد أجمعوا أمامى على ذلك؟ . . وألا يحق لى أن أختلف عنهم لأى سبب حتى لو كان لا يتسم ـ هذا السبب ـ بالوجاهة؟ . .

توقفت نورا جعفر تمامًا عن مناقشة نفسها . . وأعادت تتأمل كفتى ميزان خياراتها . . عندما جاءها الرجل الطيب إمام إمام متهللاً وهو يزف إليها نبأ توصل الأطباء إلى حل لمشكلة عقمها الذى اتضح أنه عقم مؤقت توصلوا فى أمريكا إلى علاجه . . ولذا فإنه عندما أبدى استعداده أمام الأطباء لتحمل رحلة علاجها أكدوا له أنهم سيخاطبون طاقم هذا المستشفى فى (بوسطن) ويجهزون تقاريرهم التحضيرية ويبعثون بها من الآن إلى المسئولين هناك . .

لم تردد نورا جعفر سوى جملة واحدة قالتها مذهولة : «ياه . . إلى هذه الدرجة كان صوتى ثمينًا دون أن أدرى؟ . . » .

٢ـ صباح سعد عبد الله :

فى اللحظة التى كانت فيها صباح سعد عبد الله الإخصائية الاجتماعية تضع اللمسات الأخيرة فى ترتيب حجرة الصالون لاستقبال رجل الحزب إمام إمام . . كان زوج صباح يتخطى باب شقته مرهقًا مليئًا بالتعب . . ومع هذا فلم يفُته أن يلمح ذلك الرونق الذى بدت فيه شقته بعد أن تخلصت زوجته من الفوضى التى يسبح فيها بيته دومًا بفعل شقاوة ذكوره الثلاثة . .

سألها : ما هذا؟ . .

قالت : ضيف عظيم الشأن . .

قال فى مرارة : لا أحد بهذه الصفة فى قريتنا العامرة .

قالت : ومن قال إنه من أهل القرية؟ . .

سألها : إذن : فمن أين؟ . .

أجابت : من الحزب . . أحد المؤسسين الكبار . .

سألها : وماذا يريد؟ . .

قالت : علمى . . علمك . . ولكنه قال لى إنه جاء لأمر هام . .

قال بتأفف : مصر كلها لا يوجد بها أمر هام . . فكيف لحزبكم المولود بالأمس أن يكون به أمر هام؟ . . أمر فقط . . وليس أمرًا هامًا . . على كل حال اشبعى . . اشبعى يا مدام . . أنا جائع . . جهزى الطعام . .

قالت له : انتظر حتى يُنهى الضيف زيارته . .

قال محتجًا : ولو جلس حتى الفجر . . أموت أنا من الجوع!! . .

قالت : وهل هناك ضيف يجلس حتى الفجر؟ . .

رد مسرعًا : رجال السياسة لا ينظرون فى الساعات . .

قالت تهدّئه : لا تحمل همًا . . فهو صاحب أسرة مثلنا، سيهتم بالعودة إلى أولاده مبكرًا .

ودق الجرس . .

أسرعت صباح لاستقبال ضيفها رجل الحزب اللامع . . وما أن جلس إمام حتى دخل فى الموضوع فورًا فأوضح لمضيفته أنه تقدم للمنافسة على رئاسة الحزب (لحظتها لاحظ افترار شفتيها واتساع عينيها . . وارتفاع حاجبيها . . فأهمل ما رآه) وأنه يقف بكل ثقله وأمواله لنيل شرف رئاسة الحزب . . وأن الأصوات الستة المتجددين كفيلة بإنجاحه فيما لو أعطوه أصواتهم . . وأنه يفعل هذا لأنه يملك مشروعًا سياسيًا وحضاريًا طموحًا يختلف عن ذلك المشروع الذى يفكر فيه أحمد منصور . . فأحمد منصور يصبو إلى انتزاع مصر من الحاضنة العربية تحت مسمى القومية المصرية . . وذلك اتجاه سيجر علينا البلاء . . «تذكرى الفترة التى قاطع فيها العرب مصر أيام السادات . . » .

قال لها عن نفسه : إنه يحاول من الآن تفعيل مشروعه الحضارى بشكل عملى . . وسيكون جزء من هذا المشروع هو استئجار بناية فسيحة تضم فى أدوارها المتعددة مركزًا لمحو أمية السيدات المتسربات من التعليم الإلزامى . . ودار حضانة . . وجمعية تعاونية لبيع المواد الغذائية بأسعار معتدلة . . وإنه قد رشحها لإدارة هذا المشروع بمرتب يزيد عن الألف جنيه فى الشهر . .

ولأن إمام إمام لا يملك الوقت الكافى للمساومة واتخاذ المنحنيات سبيلاً إلى هدفه فقد أنهى عرضه المغرى موضحًا أنه يفعل ذلك لكسب ثقتها ولضمان صوتها من منطلق أن هذا المشروع لو كان مجرد بداية قبل حصوله على الرئاسة . . «فما بالك إذا اعتليت كرسى الحزب؟ . . » .

ثم كلفها أن تبحث من الآن عن المبنى المناسب لاستئجاره بأى ثمن . .

ومن داخل الشقة كان الزوج الذى يصارع الجوع يراقب وينصت إلى ظهور حركة أقدام تخرج من باب الشقة ، ولكنه بدلاً من ذلك سمع صباح تناديه بأعلى صوتها . .

ـ حمدى . . حمدى . . لو سمحت عايزاك . .

ثم التفتت إلى إمام لتبثه كلمات سريعة للتعريف بزوجها . .

ـ مقاول مبانى . . يقدر يشوف طلبنا . .

وكان حمدى قد دخل وصافح ضيف زوجته . . وما أن جلس حتى فهم سر دعوته لهذا الاجتماع . . وسرعان ما أسعفته ذاكرته بطلبهما المطروح منذ دقائق . . فتحدث عن عمارة فى القناطر أنهاها كهيكل إنشائى منذ شهور ويقوم صاحبها بتشطيبها ، ولم يؤجر فيها شقة واحدة لأنه يفضل البيع بعد التشطيب . .

ربط إمام إمام على ركبة حمدى فى لطف وكرم وقال له وهو ينهض . .

ـ احجزها كلها . . ولك عمولة كبيرة عندى . .

ثم صافحهما مسرعًا وخرج فى تؤدة ورزانة وتركهما خلفه يتبادلان نظرات الذهول . . تلك النظرات التى أنهاها حمدى قافزًا إلى التليفون ليتحدث مع صاحب العمارة . . وكان قلبه يرقص فرحًا ، خاصة عندما سمع أصوات الأوانى فى المطبخ تشير إلى أن صباح أسرعت لتجهز له الطعام فأحس فجأة بقرصة الجوع . .

٣ـ فيكتور ثروت عبد المسيح :

كان فيكتور ثروت عبد المسيح يتأمل صفحة النيل مأخوذًا ببعض الشرود وهو

يسترجع ما قاله هذا الرجل إمام إمام الذى جذبه من نومة القيلولة ليقابله هنا على تلك الكافتريا المطلة على مياه نيل القناطر . . استرجع حديثه معه عن أهمية الثقافة والفن، وأن هذا الأمر له من الأهمية والشأن الكبير ما يستوجب أن نجهز له من الآن . .

ـ «وأنت يا فيكتور أنسب من يتولى الجهاز الثقافى والإعلامى فى الحزب . . لقد اخترتك قبل أن أجهز نفسى للمنافسة على رئاسة الحزب . . أنت كاتب وأديب ولك إنتاجك المتميز . . ولا يوجد من ينافسك فى الحزب، وإن كان جورج الأديب مثلك . . فجورج مؤسس ولن يتولى رئاسة أى لجنة . . يكفيه رسم السياسات معى . . أقصد معنا . . » .

فيكتور وإمام الآن يلتقطان الأنفاس بعد حوار طويل حاول فيه فيكتور أن يفهم سر هذا التعلق المفاجئ للسيد إمام بفكرة رئاسة الحزب . . وتخوفه من حدوث انشقاق بين الكبار وهم يبدءون الخطوات الأولى فى درب السياسة . .

لقد تمكن إمام بلباقته الفطرية من طى هذه الصفحة المريبة بالسرعة الكافية متعللاً بفكرة الأخذ بديمقراطية الأداء الحزبى المتحضر وإعطاء الفرصة للجميع بنفس القدر والعدالة . . واستنفار الطاقات الكامنة داخل الفرد لصالح المجموع . . إلى آخره . .

وعندما تحول الحديث من السياسة إلى المصلحة انتصبت قرون الاستشعار لدى فيكتور الذى وجد نفسه مكلفًا بتأسيس دار نشر تبدأ بتسليم بند الطباعة من الباطن إلى أن يتم شراء مطبعة لحساب الحزب بعد أن يتبوأ إمام مقعد رئاسته . .

ـ «إننى أفعل ذلك يا فيكتور من جيبى الخاص لتثبيتك كرجل أول فى هذا المشروع الذى سوف تنجح فيه على المستوى الشخصى والحزبى . . ولن أدعى النبل وأوهمك أننى أفعل ذلك مجانًا . . لا . . الحقيقة أننى أريد أن أضمن صوتك لصالحى لأتأكد بذلك أننى أكوّن قاعدتى التى سأعمل بها داخل الحزب . . » .

ـ اتفقنا . .

ـ اتفقنا . .

ـ سلام . .

ـ سلام . .

وصعد إمام إمام الدرجات الرخامية المؤدية من الكافتريا إلى عرض الطريق . . وفيكتور يتأمل عوده الممشوق وبذلته الأنيقة ومشيته الرزينة قبل أن يعود إلى نفسه متسائلاً :

ـ ما هذا؟ . . ماذا يحدث؟ . .

٤ ـ عزت رمزى كامل :

كان إمام إمام نهبًا للحيرة وهو يفكر فى مدخل مناسب لهذا المسّاح القبطى عزت رمزى كامل . . فمن غير الممكن أن يزوره فى منزله . . لأن عزت هذا مراقب جدّا فى بيته . . هذا النوع من المراقبة الذى تفرضه زوجته وتؤديها بإحكام ضمانًا لعدم وقوع زوجها تحت طائلة الخطأ أو الخطيئة . . والخطأ فى نظرها يبدأ من تلصصه على صحيفة جاره فيقرؤها معه . . وحتى لو استأذن جاره ـ هكذا تقول ـ فإن حدة الخطأ تخف نسبيّا ولكنها تتحول إلى عيب سلوكى غير مستساغ . . .

همس إمام لنفسه : مصيبة . . كيف لى أن أرشو صاحبنا هذا؟ . .

وسرعان ما تذكر المقولة الشهيرة التى تقول إن الظهور هو خير وسيلة للإخفاء . . وأقنع نفسه أنه لا يملك إلا المصارحة الفجة التى تطيح بالعقل قبل أن يعاوده الاتزان . .

فلقد استطاع أن يجد السبيل المناسب لاستمالة نورا وصباح وفيكتور . . عالج هذه . . وافتتح جمعية لتلك . . ودار نشر لذاك . . فما هو الشىء المناسب لهذا العضو الذى يعمل مساحًا؟ . . لم يجد أنسب من (الفلوس) فهى التى تمسح الهم والجوع ولواعج الألم . .

ناداه بشكل مباغت : عزت؟ . .

أجابه : نعم

لاحقه : أنا مرشح لرئاسة الحزب . . أنت واحد من الأعضاء الستة الذين أراهن عليهم لإنجاحى . . حتى الآن اتفقت مع أربعة . . وأخذت منهم وعودًا . . أنت الخامس . . وسأتركك الآن وأذهب إلى السادس . .

ثم وضع يده فى جيبه وأخرج مظروفًا مليئًا بأوراق البنكنوت فئة المائة جنيه . .

ـ هذه هدية لك . . عشرة آلاف جنيه . . فلتقسم بالمسيح أنك ستعطينى صوتك . .

تململ عزت وتأرجح فى كرسيه من فعل المفاجأة . .

ثم خرج صوته متحشرجًا :

ـ لا داعى للقَسَم . . ولكنى سأعطيك صوتى . .

وجه إمام إمام نظرات ثاقبة إلى وجه عزت :

ـ سأوافقك ألا تقسم . . ولكن ثق أننى لو خسرت صوتًا واحدًا فسوف أعرف فورًا أنه صوتك . . فالجميع أقسموا . . وفى هذه الحالة سأطالبك بهذه الفلوس . . وسأنتقم منك . .

قال عزت وهو يحاول تخليص صوته من الحشرجة . .

ـ ما تقلقش . . خليها على الله . .

قال ذلك . . وهو يدس يده بالمظروف الأنيق فى جيب سترته ، وسرعان ما أخرج هذه اليد لتلحق بكف إمام التى فردها أمامه فجأة بأصابعها النحيلة المعروقة المفرودة كالخناجر المرصوصة . .

ـ اتفقنا . .

ـ اتفقنا . .

ـ سلام . .

ـ سلام . .

وما إن تخطى إمام إمام الدرجات الرخامية التى أوصلته إلى عرض الطريق . . وما إن لمحه عزت من مكانه الوطىء فى حديقة الكافتريا يدفس رأسه داخل سيارة كانت فى انتظاره حتى أفاق ليجد نفسه وحيدًا إلا من صدى كلمات كانت تتردد على هذه المنضدة . . كلمات انتهت بتسليمه مظروفًا من المال يرقد فى جيبه الآن . .

أسرع فتحسس جيبه فانتبه إلى صوت احتكاك ورق المظروف السميك بأصابعه . . هب واقفًا وأخرج المظروف من جيبه . . تأمله . . تحسسه . . جس سُمك قوامه الملىء بالبنكنوت بإبهامه وسبابته . . أسرع نحو الدرجات الرخامية الصاعدة مسرعًا لعله يلحق (بالأستاذ) ليعيد إليه مظروفه الآثم . . وفى عرض الطريق شاهد السيارة آخذة فى الابتعاد . .

ـ يا أستاذ . . يا أستاذ . .

كانت السيارة قد ابتعدت تمامًا . . وكان نداؤه قد تلاشى تدريجيًا . .

أفاق مرة أخرى فتحسس المظروف القنبلة الذى لا يمكنه الدخول به إلى منزله . . ارتعش جسمه خفيفًا وهو يتذكر اللحظة التى غاب فيها عقله ودس هذا المظروف اللعنة فى جيبه . . هل كان فى وعيه؟ . . أم أن عقله الباطن هو الذى قبل هذه الهدية المريبة رغبة فى الانتصار ـ من بُعد ـ على زوجته . . ارتعش جسمه خفيفًا مرة أخرى عندما تذكر زوجته . . ثم زاد ارتعاشه عندما تخيلها تتفقد جيوبه وتعثر على هذا المظروف . . ثم تخيل بعد ذلك أشياء كثيرة سوف تحدث له . . ارتعش بدنه رعشة كبرى . . نظر حوله . . كان السير اللاإرادى قد أبعده عن مكانه القديم الآهل بالبشر « . . هذا المكان لا يرانى فيه أحد . . إما أن ألقى بهذا المظروف فى النيل تخلصًا منه . . وإما أن أحفر له حفرة فى حضن الشاطئ . . حفرة لا يعرفها غيرى . . حفرة صغيرة لكنز صغير أعود لاسترداده عندما أقرر ذلك . . » .

وما أن راقت له الفكرة حتى راح يبحث بعينيه عن المكان المناسب لعمل الحفرة المطلوبة . . ثم راح يبحث عن كيس بلاستيكى يحفظ فيه كنزه الآثم . .

٥ ـ حمدى محمد عبد الباسط :

كان إمام إمام يعرف مقدمًا أن الشاب الأسمر النحيل الذى يتحدث بلباقة : حمدى محمد عبد الباسط رجل يتحرك فى الدنيا وخلفه ذكريات مؤلمة من الضياع والقهر . . وأنه يرفض كل ما حوله من مظاهر سيئة هى الطفح الجلدى على جسم المجتمع للفشل الذريع الذى سقطت فيه كل الوزارات المتتابعة فى عهد الرئيس حسنى مبارك . . فكل

هذه الوزارات وكل من تولوها مقتحمين مشاكل المجتمع لحلها خرجوا من وزاراتهم وتركوا خلفهم نفس المشاكل وقد تضاعف حجمها . . فأعداد الشباب العاطل تزيد . . وأعداد الشركات التى تعلن إفلاسها تزيد . . وسعر الدولار قياسًا بسعر الجنيه المصرى يزيد . . وأسعار الطعام تزيد . . إذن، فنحن نتمتع بنوع من الزيادة فى النزول إلى أسفل . . زيادة عمق الحفر . . زيادة معدّل الانحدار . . أى أن ما يحدث فى المجتمع المصرى من تقدم أصبح هو الهدف الغائب . . أو الأمنية التى حدث عكسها تمامًا . .

ويشد حمدى عبد الباسط شعره قائلاً: لماذا لا يجلبون الأعمال لكل هؤلاء الناس؟ . . لماذا نجلس على المصاطب . ؟ . . ما الذى يفكرون فيه؟ . . وهل هم يفكرون أصلاً . . ؟ أنا لا أحمل الإعدادية وأحيانًا تطرأ على ذهنى أفكار لحل أزمة الشباب أتمنى أن أجد من يسمعها منى . . تمنيت أن أجد لى مقعدًا فى المجلس المحلى الشعبى . . مقعدًا واحدًا من ثلاثين مقعدًا أطرح فيه أفكارى . . وعندما وجدت من يطرح أفكارًا مثلها وتذروها الرياح تراجعت، فقد وجدتها لا تخرج عن حد الجلسة الروتينية التى يبحثون فيها عن حل لتكدس الباعة الجائلين على الأرصفة . . وتكدس القاذورات فى الشوارع . . وتكدس محاضر المشاجرات الآدمية فى رفوف مراكز الشرطة . . وزيادة عدد المتسولين على النواصى وفى الطرقات . . ثم غياب الحلول لهذه القضايا اليومية . . والحلول إذا حدثت لا تزيد الأمر إلا سوءًا . . ولا تضيف إلى الواقع إلا مزيدًا من الإهانة . . فهجمة واحدة من الشرطة على الباعة المساكين تثمر عن خساراتهم فيها بضاعاتهم وكرامتهم . . هذا هو الحل الدامى الذى لا يجد فكرًا متحضرًا يجتمع فيه المسئولون لإنشاء سوق متمدن توهب محلاته لهؤلاء الناس . .

قال له إمام إمام: فلنبدأ بتحقيق حلم صغير كمقدمة لأحلام كبيرة . . أنت بحاجة إلى «يافطة» .

سأله ذاهلاً: يافطة؟!!

ـ أجل . . بحاجة إلى عنوان . . منبر . . مكان تتحدث منه . . صالة تجتمع فيها مع الشباب الضائع . . والحرفيين العاطلين . . تضع يدك فى أيديهم . . تسلكون أول الطريق متساندين على بعضكم البعض . .

سأله : وكيف يحدث هذا؟ . .

أجابه فورًا : فلتبدأ فورًا فى تأسيس جمعية أهلية تسجلها فى الشئون الاجتماعية لصالح أصحاب الحرف العاطلين وأسرهم . . يجب أن تبدأ بتجميع كل الأسماء التى تطلب عملاً فى كل بنود المعمار . . مبان . . بياض . . بلاط . . نجارة . . إلخ . . ويكون دور الجمعية هو الاتصال بأصحاب الأعمال وجلب هذه الأعمال لصالح الجمعية ثم يتم توزيعها على راغبى العمل بنظام معين يخلو من المجاملة ويحقق تكافؤ الفرص . . ولتدعيم صندوق الجمعية يقوم كل حاصل على عمل بالتبرع بنسبة معينة للجمعية من ناتج عمله لتدعيم من لا يعملون . . إنه التكافل الاجتماعى . .

وقبل أن يتساءل حمدى عن الإمكانيات التى ستساعده لإقامة هذه الجمعية ـ التى بدا على وجهه مقدار الاقتناع بفكرتها ـ أسرع إمام فالتقطه فور ظهوره على شاطئ الرغبة والاقتناع . .

– من ناحيتى سوف أستأجر لك المقر لمدة عام كامل . . وسأرسل لك أحد المحامين للسير فى الإجراءات . . وما عليك إلا أن تتصل بالأعضاء الراغبين فى الانضمام . .

ثم مال عليه بودٍّ شديد وسأله :

ـ ما رأيك فى أفكارنا؟ . .

ـ عظيمة . . والله العظيم . .

ـ القيادة أفكار وسياسات ومتابعة . . هل أصلح فى نظرك للقيادة؟ . .

ـ طبعا تصلح . .

ـ أم أن الأمر يستدعى حصولنا على الشهادات الجامعية ، وأن نكون من المتخصصين؟ . .

ـ وماذا فعل لنا المتخصصون؟ . . هل تعرف أن (محمد مهاتير) رئيس وزراء ماليزيا يعمل طبيبًا . . وقفز باقتصاد ماليزيا قفزة خرافية . . رفع معدل دخل الفرد الماليزى من ٥٠٠ دولار فى سنة ١٩٨٤ إلى ١٠٠٠٠ دولار سنة ٢٠٠٤ . . هل تصدق هذا؟ . .

والرجل مجرد طبيب . . لم يدرس الاقتصاد؟ . . الموضوع لا تحكمه الشهادات بقدر ما تحكمه حكمة التفكير والاستعانة بأهل الخبرة، وأن تتمسك بفكرة أن تكون قائداً وقدوة . .

ابتسم إمام إمام فى إعزاز واعتزاز ومسح شاربه القصير بظهر سبابته . . وتوجه إلى الكهربائى الناصح حمدى عبد الباسط محتجّا :

ـ تصور؟ . . عندما أعلنت ترشيح نفسى لرئاسة الحزب احتج الأستاذ مفتاح الصاوى وأهاننى واتهمنى بالقصور الثقافى والفكرى الذى لا يؤهلنى لمجرد التفكير فى خوض الانتخابات . .

تفحصه حمدى بذهول :

ـ وهل رشحت نفسك أمام أحمد بك منصور؟ . .

أجابه بسؤال : ألا يجوز لى ذلك؟ . .

صمت حمدى طويلاً ربما ليربط بين اتجاه حديث إمام معه فى أول الجلسة . . واتجاهه الحالى فى آخر الجلسة « . . إذن، فالتضحية بإيجار مقر جمعية رعاية الحرفيين وأسرهم لمدة عام وأتعاب المحامى والمفروشات والمصاريف اللازمة للتأسيس كلها لم تكن لوجه الله والوطن . . ولكن ليصل بصوتى إلى رئاسة الحزب . . . سبحان الله . . لاشىء بالمجان . . » .

ـ كيف لا يجوز؟ . . يجوز طبعًا . . وزمانك طبعًا تريد صوتى معك . .

ـ أكيد . .

ـ وتبرعك بإقامة الجمعية التى سأترأسها هو الثمن . . طبعًا . .

ـ تعجبنى فراستك . .

ـ الأمر لا يحتاج إلى فراسة بل إلى كياسة . . كان نفسى مفتاح الصاوى يكون هو الرئيس . .

ـ معنى هذا أنك ترفضنى؟ . .

- كيف أرفضك وأنت ستفتح بيوت عشرات الصنايعية العاطلين؟ . . أليس باقيًا على الانتخاب عشرة أيام؟ . . لو أسست وأثثت وأعلنت الجمعية قبل هذا التاريخ . . فصوتى لك . .

- اتفقنا . .

- اتفقنا . .

- سلام . .

- سلام . .

٦ ـ عبد الكريم السيد الدسوقى:

بنفس القدر من القلق الذى تحرك به إمام إمام نحو المسّاح عزت رمزى كامل تحرك نحو الفلاح عبد الكريم الدسوقى . . إنه أول حالة محددة ومحدودة وواضحة المعالم . . فلاّح أصيل . . لا يُجمّل الكلمات ويكره الهتاف الرخيص . . يعلن استياءه على مرأى من الأشهاد، ويسمى السياسات التى تسير عليها مصر منذ عصر السادات: سياسات الرجوع إلى الخلف . . ويعتبر أنه ربّى أولاده فى غفلة من الزمن . . ويقول علنًا: إن جمال عبد الناصر وضع يده فى يدى وقال لى هيا بنا يا عبد الكريم نربى أولادك فى الجامعة . . ما عليك إلا أن تدبّر لهم كسوَتى الشتاء والصيف . . الدولة ستعلمهم بالمجان وتُسكنهم المدن الجامعية بملاليم . . وسنمنح المتفوق منهم مزايا كثيرة . . أصبح عندى علاء: أحيل على المعاش لواءً مدفعجيًا . . وسناء: مهندسة تقاوم فكرة الرحيل من شركتها بمعاش مبكر . . وبهاء: الطبيب المقيم فى القاهرة ولا يتسلى مع أطفاله إلا بحكاياتى مع الملاليم التى ربيتهم بها . . ذلك أن بهاء يدفع للطفل الواحد عدة ألوف من الجنيهات فى مدرسته الابتدائية . .

أكثر ما يسىء عبد الكريم الدسوقى الذى يقترب من الخمسة وسبعين عامًا . . كيف ـ وابنه على المعاش ـ لم يعد يلمح فى عيون الأجيال الجديدة تباشير الأمل . . وعندما يشاهد تكالب الآباء والأمهات على انتزاع فرص التعليم لأبنائهم بكل أعبائها من

مصاريف جمة ودروس خصوصية يأخذه العجب . . ويتساءل : ألا يعلم هؤلاء الآباء أن الخريج الجامعى يجلس فى انتظار فرصته فى التوظيف أكثر من عشر سنوات؟ . . وهل يتكالب هؤلاء الآباء على تعليم أولادهم ومنحهم الشهادات ظنّا منهم أن هؤلاء الأولاد سينفقون عليهم ذات يوم؟ . . ألا يعلمون إلى أى حد انقلب الحال وصار الأب مسئولاً عن كل أعباء أولاده حتى بعد التخرج؟ . .

سحب إمام رشفة من كوب الشاى الساخن بصوت مسموع وهو يجلس فى مندرة الحاج عبد الكريم، ثم وضع الكوب بهدوء فوق الصينية ورنا إلى الحاج بنظرة فيها أمل ورجاء . .

ـ يا حاج . . لعلك سمعت أنى رشحت نفسى لرئاسة الحزب . . (ثم بعد فترة صمت) . . ومحتاج صوتك معايا . . وأنا تحت أمرك . .

صكت الجملة الأخيرة أذن الحاج عبد الكريم . . وكاد أن يعبُر السؤال الذى سيتوجه به توّا إلى إمام طلبًا لتوضيح عبارة تحت أمرك هذه . . إلا أنه أرجأ ذلك حتى يتعرف على إجابة سؤاله التالى :

ـ وكيف واتتك الجرأة فى مزاحمة أحمد بك منصور على الرئاسة؟ . . أليس هذا «شيئًا غريبًا» يا معلم إمام؟ . .

- غريب أن يكون بينكم واحد جرىء . . هل تتحوّل الميزة لديكم إلى عيب يا حاج؟ . .

ـ لا . . أنا لا أحوّل الميزة إلى عيب ولكنى أستطيع أن أعرف الخطوط التى تفصل الجرأة عن الفجور أو عن الوقاحة . . وكلها يمكن أن تندرج ـ لمن لا يرون ـ تحت بند الجرأة . . وهذا لا ينطبق عليك . .

ـ لا . . لا . . لا . . لقد زوّدت العيار يا حاج . . اسمح لى . . أنا أحتج . . هل أنا أخطأت لأنى رجل مستقل برأيى . . وواثق فى نفسى . . وأريد للحزب أن يمارس الديمقراطية بشكل حقيقى، وليس بشكل تمثيلى؟ . .

ـ على عينى وراسى . . بس بشرط ألا تتجاوز الأصول . . ديمقراطية إيه . . واستقلال إيه اللى يضيّع على الناس حقوقهم؟ . . أحمد منصور عامل كتاب قعد

يكتب فيه ١٥ سنة . . والكتاب ده هو دستور الحزب . . إنت عملت إيه؟ . . جاى تاخد الحزب على الجاهز . . ثم إيه حكاية أنا تحت أمرك دى؟ . . إنت جاى ترشينى يا معلم إمام؟ . . عاوزنى أغيّر ضميرى وانتخبك . . أنا آسف يا معلم . . ما تعملش حسابى . . بس ممكن تعمل بنصيحتى . . بلاش المشوار ده . . المشوار ده كبير عليك . . الطبخة دى تقيلة على معدتك شوية . .

قال إمام وهو ينهض :

ـ نصيحتك لا تلزمنى يا حاج . . والمشوار ده مشوارى . . والطبخة دى طبختى وشكرًا على المقابلة يا حاج . .

واندفع خارجًا من الباب . . دون أن يصافحه . .

* * *

(٤)

أحلام المعلم إمام

لم يفلح الهواء البارد ـ الذى لفح وجهه وهو يشق الخلاء إلى سيارته ـ فى تلطيف السخونة المباغته التى صعدت إلى يا فوخه . .

سار بسيارته على غير هدى . . عكس اتجاه خواطره التى كانت تسير به بكل الهدوء . . فقد عمد إمام إمام إلى مراجعة حساباته . . تلك الحسابات التى كانت تقول إنه يراهن على كسب سبعة أصوات بما فيهم صوته . . والآن وبعد هذه المقابلة العاصفة مع عبد الكريم الدسوقى فالسبعة نقصوا واحدًا . . وتلك هى الخطورة بعينها ، فقد أصبح فوزه مرهونًا بالوفاء الكامل للأعضاء الخمسة . . بنفس القدر الذى أصبحت خسارته محققة فيما لو تخلى عنه صوت واحد . .

وراح يسترجع حواره مع عبد الكريم الدسوقى ليرى مدى فشله فى إدارة هذا الحوار لجذب هذا الرجل المفعم بالصراحة الفجة . . ووجد أنه لم يكن يملك سوى الدخول مباشرة إلى عمق مطلبه دون لف أو دوران . .

وفى منزله تمدد مرهقًا فوق سريره بعد أن أحكم إغلاق باب الغرفة ؛ إذ إنه يتوقع أن يُحدّدوا له موعد المقابلة عبر الميكروفون المتناهى الصغر ، فمن المؤكد أنهم يعملون الآن على إخراجه من هذا المأزق . . ووجد أن إرهاقه البادى ليس تعبًا جسديًا قدر ما هو تعكرٌ طرأ على صفاء ذهنه ، ذلك الصفاء الذى أدار به خمس مقابلات ناجحة قالوا له عنها إنه قد تفوق فيها على نفسه . . وهو لا ينسى نظرة الإعجاب التى أرسلها له كبيرهم ، وكيف صارحه بأنهم وضعوا أيديهم ـ فعلاً ـ على رجل يجيد فن السياسة

دون أن يدرى أنه مـؤهل لذلك بالفطرة الربانية . . وأنه لو كـان داخل كل منّا حيـوان سيـاسى ـ كما يقولون ـ فإن الحيوان الذى فى داخله من النوع النادر . . حيوان يبدو أليفًا ووديعًا ومستأنسًا ، ولكنه إذا قام فتمطى اقتلع الأشجار ، وهز ضوارى الغابة . .

لاحت على محيّاه ابتسامة الفخر ، وراح يقاوم سلطان النوم الذى راحت جفونه تتثاقل تحت وطأته . . ويرنو بعين الرجاء إلى الرنين العذب للميكروفون المتناهى الصغر فلعله يسمعه الآن . . أو لعلهم يلجؤون إلى محادثته عبر التليفون المحمول . . مد أصابعه فالتقط محموله من فوق الكوميدينو ومسح شاشته بنظرة سريعة ليطمئن على صلاحيته للاستقبال . .

«هؤلاء الناس دخلوا بى وأدخلونى فى نفق طويل لا أرى له نهاية . . إنهم يديرون معركة غامضة ذات هدف غامض . . معركة لا يمكن أن تكون كلها من أجلى . . لعلى صاحب دور محدد ألعبه الآن وفق إرادتهم . . الواضح أنهم يغتالون مشروع أحمد منصور ، وأولى حلقات هذا الاغتيال هى إزاحته من رئاسة الحزب . . ولعل عملهم الحقيقى سيبدأ بعد تمكينى من كرسى الرئاسة . . من الواضح أنهم يُعدون فرسًا ما لسباق قادم . . سباق رئاسة الجمهورية الذى سيحدث لأول مرة فى مصر . . فحزبى سوف يطرح اسم من يمثله شأنه شأن الحزب الوطنى الذى سيطرح ـ حتما ـ اسم جمال مبارك . . إن الشىء الذى يحيرنى هو : كيف لهم أن يراهنوا على واحد مثلى أو واحد آخر دون أن يعلموا أن مرشح الحزب الوطنى سيكتسح لا محالة؟ . . فمن المؤكد أن الأمر سيصب فى النهاية لصالح مرشح الحزب الوطنى . . فعندما تحتدم المعركة وتبدو شكلاً وموضوعًا أنها معركة حقيقية وليست هزلية فإن نتائجها ستحظى بكل احترام فى الداخل والخارج . . إذن ، فإزاحة أحمد منصور ليس المقصود به سوى بعثرة التضامن الذى كان من الممكن أن يحظى به هذا الرجل من طبقة المثقفين . . فرغم أنه لا يُعد من الأدباء أو من المبدعين فى مجالات الشعر والقصة والمسرح إلا أن كتابه التاريخى المثير لفت إليه الأنظار وتبلورت شخصيته لدى الأوساط الأدبية بأنه السياسى المثقف الذى يحمل قضية مصر على كاهله . . سياسى ينشر الليبرالية فى نفس الوقت الذى ينادى فيه بالقومية المصرية كمدخل هام وحتمى لقضايانا العصرية . . وصارت مقالاته السياسية تحتل الصدارة فى أغلب الصحف ، كما صارت مداخلاته الهامة فى الحوار السياسى الذى يدور عبر الفضائيات تأخذ حظها من الترتيب مع أصحاب البرامج . .

هل لمح الأمريكيون عمق مشروع أحمد منصور؟ . . هل وصلهم مغزى ما ينشده من استخدامهم فى رحلته؟ . . نظرية الراكب المركوب كما أسماها مفتاح الصاوى؟ . .

هل تبين لهم ظهور نظرية واضحة المعالم احتشد لها صاحبها يغذيها ويتغذى بها وينشرها لمن حوله وسط ركام النظريات الشاردة والبرامج الضالة المضللة لمختلف الأحزاب . . أحزاب المقاعد البلاستيكية؟ . .

هل تملكتهم المخاوف من تصاعد نوع من الفكر القومى الذى من الممكن أن يجتمع حوله طبقة الصفوة من المفكرين والمثقفين الذين يحملون قضية مصر ويحلمون بحل عصرى لها؟ . .

هل ساءهم أن يأتى حلّ من الداخل عبر شخصية جديرة بإنجاح هذا الحل . . وهم يريدون فرض نظريتهم الغائمة لكل المنطقة . . نظرية الإصلاح اللقيطة؟ . .

وهل ما يقومون به الآن يتمشى مع ما قاموا به سابقًا من إفساح الطريق لإعلان هذا الحزب؟ . . وكيف لم يئدوا الحزب فى مهده إذا كانت قد تملكتهم منه المخاوف؟ . .

هناك (ملعوب) غامض أخذونى فيه تكئة . . ولعلهم اقتنعوا بما قالوه عنى من أننى (استمرأت السيناريو، وراق لى ما يحدث) صحيح . . هذا صحيح . . من منا لم يحلم يومًا بأن يكون رئيسًا لحزب؟ . . فربما يدفعه هذا الموقع إلى الموقع الأعلى . . الموقع المقدس . . موقع رئيس الجمهورية؟ . .

من منا لم يأخذه الغيظ ذات لحظة وراح يصب نقمته على ما يراه أمامه من ظلم وفساد وتمنى فى قرارة نفسه أن تتاح له الفرصة أن يكون هو الحاكم ولو لشهر واحد ليضرب بيدٍ من حديد على أيدى الظالمين والفاسدين؟ . .

إنه الحلم الذى يعبر مخيلة المرء منا دقائق معدودة ثم يتلاشى . . ولا بد له أن يتلاشى . . لأنه من المستحيل أن يتحقق . . ولكنهم وضعوا الحلم أمامى مجسمًا . . ودفعونى أن ألهث خلفه لأقبض عليه لحمًا حيًا بين يدى . .

إنهم ومنذ أوهمونى بهذا المقعد العالى . . ومنذ أن وضعوا بين يدى كل الإمكانيات الخيالية لاستمالة الأعضاء الستة لضمان أصواتهم . . ومنذ وجدت نفسى أستقبل

شخصًا جديدًا داخلى . . شخصًا يرتدى ثوبًا مغزولاً بخيوط العظمة والوقار . . شخصًا ينشد امتلاء الروح والنفس بما يتناسب مع مقعده المأمول . . منذ هذا التاريخ وأنا أحلم . .

أحلم بالعدالة . . كيف أكون عادلاً كعمر بن عبد العزيز وجده عمر بن الخطاب؟ . .

أحلم بالبطولة . . كيف أكون بطلاً مثل «نيلسون مانديلا» وعبد الناصر؟ . .

أحلم بالتواضع والحكمة . . كيف أكون كذلك مثل الماليزى مهاتير والشيخ زايد؟ . .

أحلم بالجسارة والذكاء . . كيف أكون كذلك مثل الأمريكى كلينتون؟ . .

أحلم كيف أكون الخليط المناسب من كل هؤلاء . .

أحلم باقتفاء أثر كل منهم فى نجاحاته . .

وأفعل نفس ما فعله . .

يكفينى أن أضع يدى على عمق تجاربهم وأرسل رسلى إلى دولهم ، وأجلب مستشاريهم إلى مؤسساتى . .

لم يخلق بعدُ الحاكم الذى يفهم كل القضايا ويقوى على حلها بقبس من فكره . . وإذا ما اعترف الحاكم بذلك فلن يعيبه هذا الاعتراف بقدر ما سيدفعه إلى إحاطة مقعده العالى بمقاعد أخرى كثيرة لعباقرة يحاورهم ويسترشد بفكرهم فى كل المجالات . . قالوا إن كلينتون كان محاطًا بأكثر من مائة مستشار . . أما ما يردده الوزراء فى مصر من أنهم يسيرون حسب توجيهات السيد الرئيس فهذا هو اللؤم بعينه . . فهم يقولون للناس علنا إنهم لا يتبعون أفكارهم بل أفكار القيادة العليا . . ولكنهم مستعدون أن يقولوا همسًا ـ إذا لم تأت الأفكار بثمارها ـ : ماذا نفعل . . وهذه ليست أفكارنا؟ . . ولذا فقد أصبح أوضح ما يقرؤه الناس فى فكر وزرائهم هو أنهم بلا فكر . . وبلا إبداع . . السياسى منهم والتكنوقراطى قبله . . يا أخى : أعطنى فكرة حتى أثق أن رأسك لم يتعطل بعد . . أحمد منصور فكّر فى موضوع الجدار العازل على حدود ٦٧ بين مصر وإسرائيل . . إنها فكرة تدل على أنه يُعمل عقله فى حلّ لتبعات اتفاقية كامب ديفيد . . من الممكن أن أقبلها أنا . . وترفضها أنت . . ولكنها جديرة بالتأمل . .

أوه . . عدنا إلى أحمد منصور . . وفكْر أحمد منصور . . والتوجس الذى يحمله الأمريكان من شخصية هذا الرجل . . لَعلهم يعلمون عنه أكثر مما نعلم نحن . . وما يعلمونه حتما لا يلقى ارتياحهم، ولذا فهم حريصون على إزاحته من الآن . . (ألم أقل إنه ملعوب غامض أخذونى فيه تكئة؟) . .

ومع هذا فأنا التكئة . . وأنا الأراجوز . . وأنا اللاعب الملعوب . . والراكب المركوب . . والمأخوذ إلى المجهول . . و (خيال المآته) الذى يخيف الطيور . . الباحث لنفسه عن مكان فى حاضر العصر والأوان . . لن أخجل أن أستخدم ما دام سيدى هو سيد الكون . . لن أخجل أن أعتصم من الغرق عندما أعتلى جبلاً شاهقًا اسمه أمريكا فكل أهل الخليج به يعتصمون . . وعلى قمته يُلبّون . . وأصبحوا يطلقون اسم «بوش» على مواليدهم الذكور . .

كل من حولى لا يعرف نهاية طموحى . . لا يعرفون أننى كنت (الواد بلية) فى ورشة حقيرة فى حلوان، ثم أصبحت مستر (إمام) الذى يتحدث الإنجليزية بطلاقة كرئيس لقسم الصيانة فى شركة (كاتربلر) بجنوب أفريقيا . . وكان ينضوى تحت لواء رئاستى مهندسون خواجات إنجليز وأمريكان يعاملوننى بكل أدب واحترام . . احترامًا لعقليتى . . وليس لشهادتى وثرائى . . جئت منطلقًا إلى مصر فعطّلنى الظلم وأوقف القهر حالى . . كنت حاضنًا حلمى وهم يتآمرون ضدى فى خيمة القبيلة الظالمة . . كنت أبحث عن شىء، فضاع منى كل شىء . .

إنها فرصتى التى لن أسمح بضياعها . . إنها الدرجة الأولى من سلم طويل آخذ فى الصعود . . سلم لن تضله أقدامى حتى لو كنت أجهل أين وجهته . . وليس لى أن أسأل عن وجهته . . لأنى الراكب المركوب . . الراكب المستمتع الذى يحمل جرسًا له رنين . . . ليفسح له الناس الطريق كلما سمعوا الرنين . .

* * *

(محادثة تليفونية عبر القمر الصناعى)

واشنطن : مستر كلارك نائب مدير C . I . A

جاردن سيتى : نائب السيد سفير / U . S . A لدى ج . م . ع

القناطر الخيرية : المعلم إمام إمام الإمام

واشنطن : يمكنك أن توقظه الآن . . لقد تركناه ينعم بقسط من النوم بعد عودته مهمومًا من عند الفلاح العنيد (الدسوكى) . . قمنا باستغلال فارق التوقيت لكم وله حتى تهنئوا ببعض النوم . .

جاردن سيتى : نشكركم على هذه اللمسة الرقيقة خاصة وأننا فى السفارة واجهنا بالأمس يومًا شاقًا فى العمل .

واشنطن : نعلم ذلك فزيارة (إياد علاوى) لمصر لا تخلو من المتاعب . .

جاردن سيتى : والمخاوف أيضًا يا سيدى . .

واشنطن : المخاوف ظهرت فى بغداد . . بعد أن خطفوا أحد أعضاء السفارة المصرية . .

جاردن سيتى : إنها غلطة رئيس الوزراء الجديد الذى تسرع بإعلان موافقة مصر على إرسال قوات إلى العراق . .

واشنطن : يبدو أنه لا يملك حنكة السياسيين . .

جاردن سيتى : سمِّها يا سيدى براءة الأكاديميين . .

واشنطن : الحقيقة أنهم يضعون مصر فى موقف حرج . .

جاردن سيتى : مستر (نظيف) هو الذى فعل ذلك . .

واشنطن : لكنه عاد فنفى ما صرّح به . .

جاردن سيتى : تقصدون أنه أنكر ذلك . .

واشنطن : أجل . . أجل . .

جاردن سيتى : الإنكار عند العرب له أهمية التصاريح نفسها . .

واشنطن : عمومًا . . ألم يحن الوقت بعد لإيقاظ رجلنا النائم؟ . .

جاردن سيتى : حالاً . .

كان إمام إمام غارقًا فى أحلامه التى وجد نفسه فى آخرها فارسًا يمتطى حصانًا عاليًا على رءوس الأشهاد الذين ازدحموا حوله، ولم يكن يملك لتفرقتهم سوى استخدام جرس يبعث به رنينًا متقطعًا من آن لآخر . . وكانت رنة الجرس فى آخر المنام هى نفسها رنة التليفون التى أيقظته من النوم . . صحا فلم يجد لا الناس ولا الزحام ولا الحصان ولا الفارس . . إنه الرنين المتواصل . . وفتح التليفون . .

جاردن سيتى : مستر إمام . . أنت عرفتنى بالطبع . . أحدثك من السفارة ومعنا فى اجتماع على الهواء ومن واشنطن نائب مدير الـ C . I . A هو يسمعنى الآن مثلك تمامًا . .

واشنطن : هالو مستر إمام . . لعلك قلق منذ زيارة الأمس لهذا الذى يدعى (دسوكى) . . واضح أن صوته ليس فى جيبك . . هل أنت واثق من الخمسة الآخرين؟ . .

إمام : أنا قلق من ناحية المسّاح عزت رمزى كامل؛ لأنه رفض أن يقسم بالمسيح حتى أطمئن أنه لن يتخلى عنى . .

جاردن سيتى : ولكنه وافق على الاتفاق واستلم منك المال .

واشنطن : ما دام الأمر هكذا . . فما فائدة القسَم؟ . .

جاردن سيتى : سيدى . . إنه نوع من التأكيد والتوثيق الذى يحتمى فيه أحد الطرفين مستخدمًا رهبة الدين لضمان وفاء الطرف الآخر بما تعهد به . .

واشنطن : تقصد أنهما أدخلا الله معهما فى الصفقة . .

إمام : تقريبًا . . ولكنه رفض . . عزت رفض . .

جاردن سيتى : إذن فلماذا أخذ الأموال؟ . . لك الحق فى أن تخشى جانبه . . والآن يجب أن تعثروا على حل . .

إمام : لقد فكرت فى حل يا سيدى وهو أن نعطل عزت رمزى وعبد

الكريم الدسوقى من الذهاب إلى جلسة الانتخاب . . وتصير الأصوات الصحيحة تسعة . . منهم خمسة لصالحى . . وأربعة فقط لصالح أحمد منصور . .

جاردن سيتى : أنت يا إمام تؤكد أنك سياسى فعلاً ما دمت تجيد التآمر . . التآمر جزء هام من السياسة . . لا سياسة بدون تآمر . . إنه حل مقنع يا مستر كلارك . . هل توافق على أن نقوم بتنفيذه؟ . .

واشنطن : شرط ألا تُستدرجوا إلى جريمة . . هناك عشرات الأسباب التى تمنع وصول الناس إلى أعمالهم فى مصر . . فأنت لا تستطيع منع الشرطى من اصطحابك إلى قسم الشرطة للتحرى عنك وبدون سبب أو مقدمات . . كما لا تستطيع أن تقنع سائق الأوتوبيس بأنه لا علاقة بين مسار الأوتوبيس فى عرض الطريق وإصراره على السير به فى نهر النيل . . أما أن تجد نفسك وقد تسلمت سريرًا فى المستشفى لتضميد جراحك لاختلاف وجهة نظرك عن وجهة نظر سائق التاكسى العملاق فى دفع الأجرة فهذا يرجع لسوء حظك لأنك أوقفت هذا التاكسى بالذات .

هل فهمتنى؟ .

عمومًا أرى أن تترك هذا الموضوع لمستر إمام، فهو كفيل بترتيبه . . وأنت يا مستر إمام

هل تسمعنى؟ . .

إمام : أجل . . أجل . .

واشنطن : عندما تنجح فسوف نرتب لك رحلة إلى أمريكا لترى الحلم الأمريكى لأول مرة فى حياتك، وسوف تعود مندهشًا من نمط الحياة عندنا . . صدقنى .

إمام : أشكرك . . أشكركم . . أشكركم

(٥)

سر الحفرة التى بها المال

وجاء اليوم المشهود . .

وتتابع حضور المجلس . .

كان إمام هو أول الحضور . .

ثم تبعته الدكتورة راوية التى ما إن دخلتُ عليهما محييًا حتى نهضَتْ مستأذنة من إمام لتنتحى بى جانبًا فى حديث يبدو أنها لم تشأ أن يسمعه سواى . .

قالت لى متسائلة :

ـ هل وصل إلى سمعك ما قام به هذا الرجل ـ وأومأت ناحية إمام برأسها ـ من اتصالات ببعض الأعضاء . . حتى ينتخبوه؟ . .

قلت لها : لم يصلنى . . ولكنه أفصح أمامنا أنه سيفعل ذلك . . ما الغريب فى هذا الأمر؟ . . رجل يدعو الناخبين لانتخابه . .

قالت لى : يدعوهم شىء . . ويقدم لواحد منهم رشوة شىء آخر . . وهذا يجعلنا نشك أنه رشا الآخرين . . أو على الأقل حاول أن يرشوهم . .

سألتها : أى نوع من الرشوة؟ . . إنها بداية سيئة . . هل أنت متأكدة مما تقولين؟ . .

قالت : جاءنى فيكتور عبد المسيح وأثناء حديثه معى فهمت منه أن يجهز لمشروع دار نشر ، ولم يقل لى أكثر من ذلك . . وفى أثناء جلسته معى جاءته مكالمة على تليفونه

المحمول . . وتسرّع وهو يستقبل المكالمة فحيا محدثه قائلاً : أهلا يا أستاذ إمام . . ولكنه بعد التحية التى كشف فيها اسم محدثه صار فى حرج كامل فى الرد على أسئلة إمام . . وصار يتحدث بالرمز والتمويه بكلمات فهمت منها أن «إمام» يتحدث عن دار النشر وعندما زاد تعثره فى الحديث وأصبح واضحًا لى ومكشوفًا بادر بإنهاء المكالمة واعدًا «إمام إمام » أنه سيحدثه فى وقت آخر . . وكنت أتوقع أن يبلغه سلامى أو يعطينى التليفون لأسلم عليه إلا أنه لم يفعل ذلك ، ولم يذكر له أنه فى ضيافتى . .

ـ وما علاقة إمام بدار النشر ؟ . .

ـ اضطر فيكتور بعد المكالمة أن يعترف لى أنه يشارك إمامًا فى هذا المشروع . .

وراحت الدكتورة راوية فى وقفتها البعيدة عن إمام تسرد لى تفاصيل ما حدث ، وكيف أنها لمحت فى حديث فيكتور ما يشير إلى أنه ارتبط بشكل ما مع المعلم إمام فى علاقة ما تنبئ عن أنه سوف يتحيز له ويمنحه صوته فى انتخابات الرئيس . . وراحت توضح لى كيف أن فيكتور راح يراوغها ويهرب من هذا النوع من الأسئلة التى تحاصر كاتبًا وأديبًا وإنسانًا مهمومًا بالثقافة وقضية مصر ، بل وقضية العالم العربى الذى يعتبره غارقًا فى التخلف وأبعد ما يكون عن الحضارة . .

كانت أسئلتها له تنتهى إلى سؤال مفزع : كيف يكون هذا حالك فى نقد المجتمع غير المتحضر ثم تتحيز فى أول اختبار حضارى لك إلى رجل ليس من الفخر أن تختاره رئيسًا لحزبك لمجرد أنك اشتبكت معه فى علاقة مادية؟ . . وكان أن فاجأها فيكتور بأنه مجرد واحد من ستة أعضاء يحتمل أن يكون قد مر عليهم إمام عارضًا خدماته وطالبًا تعزيز موقفه كمرشح لرئاسة الحزب . .

وأثناء الحديث جاء فيكتور قادمًا من بعيد فى أول الصالة الفسيحة التى أحتل أنا والدكتورة راوية مكانًا قصيًا على كرسيين بها . .

وجدت نفسى دون تفكير أشير له وأدعوه بيدى أن يأتى إلينا . .

عرج فيكتور على إمام فصافحه مسرعًا إلا أن إماما أمهله لدقائق بث له فيها بعض الكلمات فى أذنه هامسًا . . وما إن أصبح فيكتور أمامنا حتى بادرته بسؤال مباغت :

ـ أنت ستعطى صوتك للمعلم إمام؟ . .

رد مسرعًا :

ـ أجل . . وماذا فى ذلك؟ . .

سألته :

ـ وهل هو الجدير برئاسة الحزب أم الأستاذ أحمد منصور؟ . .

أجاب :

ـ ربما يكون هو . . أو الأستاذ أحمد منصور . . من يدرى؟ . . كلاهما فى نظرى جدير . . أو هما متساويان . . وإن كنت ترى أن الأستاذ منصور يتميز بميزة أدبية أو ثقافية أو سياسية خاصة بعد صدور كتابه الشهير فإن ذلك فى نظرى ليس الفارق المهول بين الرجلين . . لأن إمام إن لم يكن قد قدم لى كتابًا، فقد أسس لى دار نشر بكاملها . .

ـ وهل هذا هو الفارق فى نظرك؟ . .

ـ ليس فارقًا بقدر ما هو إشارة إلى أنه رجل عملى لا يتحدث ويرغى قدر ما يفكر وينفذ . . هل تسمع عن الرئيس (لولادى سيلفا)؟ . .

رحت أعصر ذاكرتى حتى أتذكر ذلك الاسم فأسعفتنى راوية :

ـ إنه رئيس البرازيل الحالى . .

فبادر فيكتور بتوجيه سؤال واحد لكلينا :

- وماذا تعرفان عن هذا الرجل المعجزة؟ . .

وبما أنى لم أكن فى الأصل مهتمًا لا بالبرازيل ولا برئيسها الذى يقول عنه فيكتور إنه معجزة فقد التزمت الصمت . . صمت الجاهل بالطبع . . ولكن راوية التى تدمن قراءة الصحف والمجلات بشكل مَرَضى قالت :

ـ هذا الرئيس تسلم الحكم فى البرازيل، وخلال عامين فقط استطاع أن يخرج بها من عنق الزجاجة بعد أن كانت تفاقمت أزمتها الاقتصادية إلى حد الجوع . . قبل توليه الرئاسة . .

فأكمل فيكتور :

ـ يعنى أنه صاحب فكر ، وقد ظهر ذلك جليّا عندما دعا إلى إنشاء صندوق عالمى لمقاومة الجوع يتم تمويله من خلال فرض ضريبة على مبيعات السلاح . . أو بتحويل جزء من الديون المستحقة على الدول الأشد فقراً لصالح هذا الصندوق ووقف فى وجه أمريكا عندما رفض تقديم تنازلات فى مفاوضات تحرير التجارة العالمية لصالح الدول الغنية . .

قاطعته :

ـ O . K واضح أنك مؤمن به وبما فعله . . المهم ما الذى جعلك تتذكره الآن . . ؟ . .

رد على الفور :

ـ معجزة حياته . . المعجزة التى صنعها لنفسه . . هذا الرجل لم يحظ بأى قدر من التعليم . . ولا الاهتمام . . وعمل ماسحًا للأحذية . . وعمل «صبى ميكانيكى» . . تمامًا مثل المعلم إمام . . واشتغل عاملاً بمحطة خدمة للسيارات . . وظهرت مواهبه عندما انضم للنشاط النقابى . . وحقق نجاحًا كبيراً . . وصار نقابيّا مشاكسًا عندما دافع باستماتة عن الحرية وعن الديمقراطية فى مواجهة نظام الحكم القمعى . . وعندما وصل إلى الحكم قام بتشكيل حكومى عبقرى ، فأتى لوزارة المالية باثنين من رجال صندوق النقد والبنك الدوليين وأتى باثنين من أصدقائه من أتباع المفكر الثائر (شى جيفارا) كمستشارين له . . لقد حرّك الاقتصاد وحرّك قطاع الصناعة المنهار ليعيد تشغيله بنسبة ٨٥ ٪ من طاقته التشغيلية وحقق معدل نمو ٦,٥ ٪ فى نصف العام الحالى . . وبلغت صادراته ٤٤ مليار دولار . . وحقق مليون فرصة عمل للبرازيليين . . بالله عليكم . . لو كان الناخب البرازيلى سطحيّا وتافهًا وناقش المرشح (لو لا دى سيلفا) من منظور أنه من قاع المجتمع وأنه صبى ميكانيكى سابق أو ماسح للأحذية . . هل كان يعرف حجم الخسارة التى ستلحق به فيما لو تحيز لهذه المقاييس المتخلفة؟ . . التخلف هو أن تحمل أفكارًا متخلفة . . أن تكون سجين التابو . . مدفونًا فيه . . ومدفونًا فيك . . (سيلفا) هذا قال : لن أضع نفسى تحت رحمة صندوق النقد الدولى الذى لن يهتم بمشكلة موت

أطفالى من الجوع ولا بتكدس العاطلين عندى . . كما أنه لم يضع نفسه تحت رحمة أمريكا، وأصبحت لديه خلافات جذرية معها على صعيد السياسة والاقتصاد . . ومع ذلك فهو يعلن بدبلوماسية أنه يجب أن يتعايش مع الرئيس بوش . . دون أن يقنعه بتبنى أفكاره بنفس القدر الذى لا يستطيع هو أن يحمل أفكار بوش .

أعجبنى هذا التقرير العاجل عن هذا الرئيس المجهول بالنسبة لى . . وحملت فى نفسى تقديرًا عاليًا أتى سريعًا لشخص فيكتور الذى استطاع تقديم وجهة نظره فى شخصية إمام عبر الحديث عن شخصية أخرى تحمل قشورها الخارجية نفس لحاء شجرة إمام . . وهو فى عرضه لإنجازات هذه الشخصية يريد التأكيد على أن موضوع الزعامة والنجاح فيهما لا يحمل أى مقاييس من تلك المتعارف عليها ، ولكنه نجاح له مقاييسه الخاصة التى لا يمكن للمرء أن يتوقعها سلفًا ولا يمكن أن يأتى نتيجة خطى مرسومة مقدمًا . . ولكنها تأتى من ذائقة المبدع المخترع الفنان الذى يحس بوجع ناعم فى وجدانه . . وجع كطلق الحامل التى توشك على الوضع . . الوجع الذى يؤكد قرب الولادة . . هكذا يكون السياسى النبيل . . والثائر الفاضل . . وحبذا لو أتى هذا الثائر من قاع المجتمع . . وحبذا لو أتى من صفوف الفقراء . . فمن جرّب استخدام الملعقة الذهبية لا يمكن بأى حال أن يحس بآلام أصحاب الملاعق الصاج أو الخشبية .

أخذتنى الحيرة . . ووجدت أن إمامًا لم يخلط أوراق اللعبة فحسب، ولكنه على وشك أن ينسف اللعبة كلها . .

لحظتها توجهت بسؤالى المباشر إلى فيكتور :

ـ من هنا فأنت تراهن على شخصية إمام الذى يمكنه أن يكرر شخصية البرازيلى (لولادى سيلفا)

ـ لم لا؟ . . (أجابنى باقتضاب) . .

ـ إذن فهيا بنا . .

وتحركت إلى مدخل الصالة حيث كان قد وصل باقى الأعضاء . . أحمد منصور وبرفقته مفتاح الصاوى الذى لاحظت أنه لم تصدر عنه حتى الآن إحدى ضحكاته

المجلجلة . . ثم صباح . . فنورا . . فحمدى عبد الباسط . . وظللنا نتجاذب أطراف الحديث نحن التسعة فى انتظار عبد الكريم الدسوقى وعزت رمزى كامل حتى يكتمل النصاب بأحد عشر عضواً . .

نظر أحمد منصور فى ساعته ثم قال :

ـ من الممكن أن نجرى الانتخابات الآن بهذا العدد . . ولكن إمعانا فى الشفافية فمن الممكن استخدام بنود اللائحة والانتظار ساعة كاملة ندير بعدها الانتخابات فى الساعة الواحدة . .

هتف إمام :

ـ طالما أن النصَاب أصبح قانونيّا الآن . . فلماذا لا نجرى الانتخاب؟ . .

لم يرد عليه أحمد منصور ، ولكنه يمم وجهه ناحية الدكتورة راوية :

- إذن نجمع الأصوات . . من يوافق على إدارة الانتخاب الآن يرفع يده . .

رفع إمام يده . . ثم نورا . . ثم صباح . . ثم فيكتور . .

هتف أحمد منصور :

ـ أربعة مقابل خمسة . . إذن فلننتظر . .

لاحظت أن إمامًا اقترب من حمدى عبد الباسط الذى لم يرفع يده وراح يحدثه حديثًا هامسًا بوجه محتقن . . لقد ضاع همسه وتبدد وسط الحديث المتصاعد من الحضور . .

لقد أحسست أن هذا التصويت السريع العفوى جاء «كبروفة» للتصويت المرتقب . . وأن نورا وصباح وفيكتور كان من الواضح أنهم فى ميزان إمام . . أما حمدى فمن الواضح أنه فى ميزان أحمد منصور . . وإلا فلم بادر إمام بتعنيفه بصوت هادئ . . هل كان بينهما اتفاق ما وتخلى عنه حمدى؟ . .

لقد كانت عقارب هذه الساعة المهلة ثقيلة وبطيئة وموجعة ولم يخفف من طولها تلك السياحة الكلامية التى تأخذنا على غير هدى . . وكان الشىء المشترك بيننا كلنا أن

عيوننا جميعًا متعلقة بالباب فى انتظار دخول عبد الكريم الدسوقى أو عزت رمزى . . وما أن يفتح الباب حتى تقفز نظراتنا نحوه ثم تعود أدراجها إذا كان الداخل هو أحد السعاة يحمل شايًا أو أحد الموظفين يحمل أوراقًا لأحمد منصور . .

لم يتبقَّ سوى دقائق خمس . .

مضت الدقائق الخمس . .

أصبحت الآن الساعة الواحدة . .

احتللنا مقاعدنا حول المثلث المقدس . .

تحركت ضلفة الباب إلى الداخل . .

هتف أحمد منصور بالساعى أن يغلق الباب ولا يسمح بدخول أحد من الآن فصاعدًا . .

أكملت «ضلفة» الباب دورتها إلى الداخل، وبدلاً من أن تبرز رأس الساعى كما توقعه أحمد منصور برزت رأس عزت رمزى كامل الذى دخل مسرعًا ولاهثًا ومكفهر السحنة . .

ـ لا مؤاخذة يا أستاذ . . تأخرت بعد أن نجوت من حادثة . .

هتف إمام إمام :

ـ لا صوت لك . . حضورك غير قانونى . .

رد عليه أحمد منصور :

ـ توقيعاتنا على الكشف لم تكتمل بعد . . ولم نبدأ الإجراءات بعد . . حضوره قانونى . .

أدار إمام بصره حوله كمن يستنجد بمنقذ . . فأدار أحمد منصور بصره مثله، ولكنه مصحوب بسؤال :

ـ أتحب أن نستفتى الحضور فى ذلك؟ . .

قال إمام إمام مستسلمًا :

ـ لا داعى . . اتفضل . .

قام بتوزيع الأوراق أحد المشرفين على اللجنة ، وهو أحد ثلاثة قضاة جاءوا من قِبَل لجنة الاحزاب للإشراف على المعركة وضابطىْ شرطة يجلسان خارج القاعة بجنودهما . .

كانت استمارة التصويت صغيرة الحجم حتى إذا تم ثنيها مرتين أصبحَتْ فى حجم علبة السجائر . . وتحتوى خانتين . . خانة لاسم أحمد منصور وخانة لاسم إمام إمام . . والمطلوب وضع علامة (صح) أمام الاسم الذى تختاره . . وكانت هناك مجموعة أقلام من نوع واحد أمام القاضى ، والمطلوب منك أن تتسلم استمارة وقلمًا وتتحرك بعيدًا لتضع علامتك وتثنى ورقتك وتضعها فى الصندوق . . وقد تم التصويت فى أقل من ربع ساعة . .

كان القاضى دمثًا وظريفًا فراح يُلطّف الجو ببعض النوادر قبل أن يحمل صندوقه الصغير ويتحرك نحو المائدة المثلثة التى بها مقعد خالٍ هو مقعد عبد الكريم الدسوقى الفلاح الذى غاب فشغَلَنا غيابه . .

أفرغ القاضى الصندوق لتحتل الورقات العشر مكانها على المنضدة فى انتظار فرزها . . وكانت أمام القاضى ورقة بيضاء خالية إلا من اسم منصور واسم إمام حيث كتبا متباعدين . . وراح القاضى يفتح الأوراق ورقة ورقة مناديًا باسم المتمتع باختيار صاحب الورقة المجهول . . وراح يضع علامة (صح) أسفل اسم أحمد منصور ثلاث مرات متوالية قبل أن يظهر اسم إمام فى المرة الرابعة حيث تنفس الصعداء وقد كاد ييأس من وصول اسمه . . ثم توالى اسمه بعد ذلك ثلاث مرات ليصبح أربعة مقابل ثلاثة . . ثم ظهر اسم أحمد منصور مرتين متتاليتين ليصبح خمسة مقابل أربعة . . وأصبحت الورقة الأخيرة هى الفاصلة فأمسكها القاضى بتأن زائد عن الحد وهو يلقى ببعض الطُّرف تلطيفًا للجو وقد كان يفعل ذلك وهو موقن أن أعصاب كل فريق مشدودة إلى الحد الذى لم يجد أثرًا لدعاباته ، بل كان الاستثقال لهذه الدعابات هو الشعور المعتمل فى النفوس دون أن يدرى هو بذلك . . فهذه الورقة ستعطى لأحدهما الفوز برئاسة

الحزب . . أو تعطى لهما التعادل لو جاءت باسم إمام . . وهذا ما حدث، كان هذا الصوت لإمام . .

ران الصمت على الجميع . . لم تسفر المعركة عن فائز من المتسابقين . . تعادل الطرفان . . قام إمام فى حركة لا شعورية وراح يتمشى بعيدًا قرب النوافذ وهو يشعل سيجارة ويلتهمها فى نهم . . لقد كان يعيد الحسابات . . ويبحث عن المتسبب . . «فالأصوات الخمسة هى : نورا وصباح وفيكتور وهو . . إذن، فمن الخامس؟ . . إما حمدى عبد الباسط . . أو عزت رمزى كامل . . من المؤكد أن عزت هو الخائن ولم يعطه صوته . . ولماذا لا يكون حمدى عبد الباسط هو الخائن ولم يعطه صوته؟ . . أليس هو الذى جهر بمنع صوته فى الاستفتاء المعلن الذى أداره أحمد منصور لاستبيان رأى الحضور فى عقد الانتخابات بتسعة أفراد أو يتم الانتظار لاكتمال العدد إلى أحد عشر؟ . . لو كان حمدى وافق على الإسراع بالتصويت لكان الأمر قد اختلف وأصبح التصويت لصالحى : خمسة مقابل أربعة . . إذن، فحمدى عبد الباسط هو الخائن . . ولكن حمدى كان حتى الأمس يُبدى سعادته بمشروع الجمعية التى تأسست وصارت واقعًا ملموسًا . . كيف له أن يدير ظهره للرجل الذى وهبه ذلك الكيان الحلم؟ . . لا . . لا يمكن لحمدى أن يخونه . . إذن فهو عزت رمزى . . لأنه حصل على المال ورفض أن يُقسم على الإخلاص لى . . كونه لم يُقسم هو الدليل على أنه لم يُخلص . . إذن فهو لص . . أخذ المال دون مقابل . . ماذا أفعل معه؟ . . لا شىء سوى مطالبته بالعشرة آلاف جنيه . . » .

نادوا عليه . .

تحرك نحو المنضدة التى يتحلق حولها الجميع . .

قالوا له إنه تم الاتفاق على إعادة الانتخاب وتوجيه دعوة رسمية للمجلس للانعقاد لهذا الغرض بعد خمسة عشر يومًا من اليوم . .

حسبها بسرعة . .

«سيأتى عبد الكريم الدسوقى . . وسيكون صوته فاصلاً لصالح أحمد منصور . .

من الأشرف لى الانسحاب وتزكية أحمد منصور . . ولكنى لن ألقى بهذه الورقة بالمجان . . سأطلب المقابل . . ولا بد أن يستجيبوا لى . . » .

قال لهم :

ـ التعادل أمام أحمد بك منصور شرف كبير لى . . وإذا كان هذا التعادل كافيًا لإقناع أحمد بك اننى رجل ذو حيثية ولى أصواتى التى تعززنى فهل يسمح له هذا الأمر أن يجعلنى نائبه؟ . . الواقع أن شرفى سيزداد وسأعلن لحظتها أننى تنازلت له . .

قال له مفتاح الصاوى مستفزّا :

ـ ولماذا لا تعلن تنازلك أولاً؟ . .

رد عليه إمام :

ـ ولماذا لا أحظى بشرف اختيارى أولاً . . أم أنك تريد أن تكون النائب؟ . .

أسرعت الدكتورة راوية قائلة لإمام :

ـ ما لم تعلمه أننى التى كنت سأحظى بهذا الشرف . . ولكنى أتنازل لك عنه تجميعًا لصفوفنا ودرءًا لخطر تفرقنا . .

بدت ابتسامة خفيفة على جانب فم أحمد منصور، وانتظر حتى تهدأ الأصوات ليقول كلمته :

ـ لن أتنازل عن الدكتورة راوية كنائبة . . وأنا أرفض فكرة التنازل التى عرضها المعلم إمام . . ولكن إذا قلتم لى إنه انسحب من الجولة القادمة فسوف أوقف عملية الانتخاب . . ولاحظوا أنها لن تتم هذه المرة بنفس الأعضاء الحاليين ؛ ذلك أننا سنختار من الكشوف ستة أعضاء جدد يمثلون الأعضاء المتجددين للشهر القادم . .

أسقط فى يد إمام إمام . . وتهدّل فكه . . وزاغ بصره . . وأحس بجسامة مهمته القادمة فى الإعادة . . فقد اتضح له أن من اشتراهم من الرجال والنساء كانوا غير صالحين للاستخدام التصويتى سوى لشهر واحد . . فكيف له أن يبدأ من جديد فى ضم ستة أعضاء لا يعرفهم إلى صفه . . ؟ . . كيف له أن يبدأ فى دراسة حالة كل شخص

على حده ويتعرف على مداخله ونواقصه ليدخل إليه منها . . ؟ . . وكيف له أن يضمن عدم انتشار فضيحة ما يفعله ـ بعيدًا عن العيون ـ من شراء ذمم الناخبين؟ . . «من المؤكد أنهم جميعًا سيتحدثون من الآن وبعد سقوطى، وسيكون حديثهم فى أول الأمر همسًا . . ثم يعلو ويعلو متجاوزًا الهمس إلى الصياح . . » .

عاد فقال لنفسه : «الآن فقط عرفت خطورة التجديد الشهرى لأكثر من نصف أعضاء المجلس الرئيسى . . الآن فقط عرفت مصيبة الركود الذى يجلب العفن . . صحيح أن الضرر لحق بى كأول ضحية لهذا النظام، ولكنه فى صالح المنظومة كاملة . . والآن : ليس لى سوى أن أعلن انسحابى . . و . . . . . » .

جاءه على عجل تليفون لاهث : «لا تنسحب . . سندبر لك أمر الأصوات الجديدة . . مازلنا نراهن على شخصك . . وبرنامجك . . وسياستك القادمة . . لا تيأس . . خض المعركة الجديدة بنفس الجسارة» .

أسقط فى يده . . وتدلى فكه . . وزاغ بصره مرة أخرى . . فكر ألا يستجيب لهذا النداء الورطة . . تذكر شقيق زوجته السرية وتهمته الخطيرة بالتخابر مع إسرائيل . . التهمة التى من الممكن أن تلحق به هو شخصيًا فى لحظات إن لم يستجب لتوجيهاتهم . . فهو يأوى جاسوسًا فى منزله ويقترن بشقيقته اقترانًا غير معلن يثير الشبهة قبل أن يثير التساؤل . .

عاد مرة أخرى فقال لنفسه : «أنا قادم على فضيحة لا محالة . . فضيحتى ستكون مزدوجة . . إن لم تأت على يد من يحركوننى . . فسوف تكون على يد من أحرّكهم . . ما الذى يريده منى هؤلاء الناس؟ . . أين أنا من خطة ألمحها ولا أعرف تفاصيلها؟ . . لعلى سنٌ صغير فى ترس كبير سيدور ولن أملك لنفسى وقف دورانى معه . . الأمريكان يصنعون الزعامات ويثبّتون الملوك . . ويهزون العروش . . إنهم يسجنون الرؤساء، بل يدمرون دولة كاملة فى سبيل القبض على رئيسها؛ لأنه لم يخضع لهم ولإسرائيل . . الواقع أننى مجرد بند فى خطة طويلة . . أو مجرد ممثل صغير يلقى كلمات قليلة فى رواية طويلة بطول التاريخ، وعريضة بعرض الجغرافيا . . القذافى تخلى عن ثوريته واستسلم راضيًا . . لم يستطع أن يصمد أمام العواصف العاتية والريح

الآتيــة . . مــا الذى يريدونه لمصــر؟ . . هل هم واثقــون أن فكرة توريث الحكم لن تنجح؟ . . هل قرءوا من الآن مصاعب السيناريو القادم؟ . . ومادامو ا يبحثون عن بديل فلماذا لم يتجهوا مباشرة إلى أحمد منصور؟ . . هل هم واثقون أنه عنود ومشاكس مثل حصانه الجامح الذى يعلو كل لافتات وأوراق الحزب، ثم الشعار المكتوب (إن قلت كلمتك لا تمض) . . إن الرسم والكلمات ليدلان دلالة قاطعة أن هذا الحزب وُلد ليعيش . . وسيعيش ليناكف . . وسيناكف حتى ينسلخ من طاحونة أمريكا التى تطحن عظام من يدور فى فلكها . . لقد حكى لى فيكتور عن رئيس دولة بدأ حياته «صبى ميكانيكى» مثلى . . بل لعلى كنت أسعد منه حالاً فوالدى لم ينجب ٢٥ طفلاً مثل والد (لولادى سيلفا) رئيس البرازيل . . ووالدى لم يهرب مثل هروب والده ويتركنا على قارعة الطريق . . أبى هاجر من مصر إلى اليونان وتزوج هناك بعد أن طلّق أمى . . تركنا ولدين وبنتًا واحدة . . صحيح أنه لم يتعلق بنا . . ولكنى تشبثت به . . وصحيح أننى تجرعت الألم وكان عزائى أننى أعيش مع الأمل . . وإذا كان العذاب هو الذى شكّل عبقرية الرئيس البرازيلى، فإنه نفس العذاب الذى شكّل طموحى وجعلنى أنتقل بمجهودى الذاتى فى التعليم من شاب يقرأ العربية بتواضع إلى رئيس قسم يقرأ ويكتب ويتحدث الإنجليزية بطلاقة . . الإصرار هو الذى شكّلنى . . وإذا كان هؤلاء الأمريكان بحثوا ودرسوا وتقصوا حياتى وحللوا شخصيتى، فمن المؤكد أنهم وضعوا أيديهم على ما يؤكد صلاحيتى . . ويعطى الأمل فى تكوينى . . وبالتالى فى أدائى . . أدائى الذى سيكون . . » .

صحا على صوت أحمد منصور يعلن أسماء اللجنة من الأعضاء المتجددين : امرأتيْن . . ومسيحَيْن . . وعامل . . وفلاح . . الذين سيشاركون فى تولى دفة الحكم من أول الشهر القادم . . وراح يتابع كل اسم وما يتبعه من وظيفة . .

ـ **سناء عبد الموجود المحمدى**	مدرسة إعدادى
ـ **عطيات إبراهيم أبو دياب**	ربة منزل
ـ **ألبرت فهمى عازر**	تاجر جملة
ـ **سامح لطفى أبادير**	مدرس ثانوى

ـ **عبد العزيز مرسى جابر** بحار بوزارة الرى

ـ **حلمى محمد أبو عكاشة** مستأجر أرض من مصلحة الأملاك

رأى إمام أنه من الصعب أن يجد مدخلاً لرشاويه مع هذه التشكلية العجيبة من الوظائف . . فكيف يرشو تاجرًا أو مدرسًا أو بحارًا أو ربة منزل . .

«لعنة الله عليكم أيها الأمريكان . . كيف ستدبرون لى أمر الأصوات الجديدة . . ألا يكفى ما خسرتموه فى الأصوات القديمة . . (كيف صارت قديمة، ولم يمض على تصويتها سوى ساعات قليلة؟ . .) . . تلك هى أمور السياسة الكافرة التى لا ترحم . . لا مفر . . ليس لى سوى الانسحاب . . ليس من المنافسة على الرئاسة فقط . . بل من الحزب بالكامل . . لا أعتقد أن هذا المناخ الملىء بالتآمر والعصبية هو نفس المناخ الذى خاض به (لولادى سيلفا) معركته أو معاركه النقابية حتى وصل إلى الرئاسة . . لا . . من المؤكد أنه خاض ما هو أدهى من ذلك . . فلقد فهمت من فيكتور أنه حتى فى تشكيل حكومته بث فيها شخصيات تنتمى إلى العصابات التى كانت تحارب الأمريكان مع (شى جيفارا) . . إذن، فالساسة المحترفون يتحالفون مع الشياطين حتى يصلوا إلى بغيتهم . . يفعلون ذلك وهم فى طريقهم لتولى السلطة . . ويفعلون أيضا ذلك وهم على رأس السلطة . . «مالى أنا، ومالهذا الأمر الجلل؟ . . ليس لى سوى الانسحاب . . ليس لى سوى الانسحاب . .» .

اقتحمه مرة أخرى التليفون اللاهث ذو اللكنة الإنجليزية المتسارعة (اسمع منا ولا ترد علينا . . أوراق البنكنوت التى دفعتها إيجارًا لمركز صباح لمحو الأمية وجمعية حمدى عبد الباسط لرعاية الحرفيين ولدار نشر السيد فيكتور تقوم إدارة مكافحة التزييف بتتبع مصدرها . . فقد ثبت لهم أنها مزيفة . . حتى أوراق البنكنوت التى دفعتها لعزت رمزى وخبأها فى حفرة عثر عليها فلاح مسكين وقبضوا عليه ووجدوه بريئًا وهم يتربصون الآن بجوار الحفرة للإمساك بمن يأتى لاسترجاع خبيئته . . يمكنك إرسال عزت رمزى لاستعادتها حتى يلقى جزاء خيانته لنا . . لا تقلق . . يمكننا حل هذه المشكلة التى تورطت فيها . . كل ما هناك يجب ألا تنسحب) . .

اقترب إمام إمام من عزت كامل وهمس له :

ـ الحفرة التى دفنت فيها الفلوس هل كانت فى مأمن من اللصوص؟ . .

ـ وكيف عرفت ذلك؟ . .

ـ بنفس الطريقة التى عرفت بها أنك خنتنى ولم تعطنى صوتك . .

ـ لقد أسرعت خلفك ولم ألحق بك لأعطيك أموالك حتى لا أبيع لك شرفى فى مقابلها . .

ـ إذن . . اذهب الآن وأحضر لى مالى قبل أن أفضحك . .

ـ سآتى لك به . . ولن تأخذها قبل أن تعترف لى بأن السائق الذى عزمنى على توصيلة بسيارته كان من طرفك . . وكانت مهمته منعى من اللحاق باللجنة . . إنه ضحية التصادم الذى افتعله حتى أرقد معه فى المستشفى . . هو الآن يرقد بمفرده . . ولكن يبدو أن السائق الآخر نجح فى إرقاد عبد الكريم الدسوقى، فقد أدى تصادمًا مروّعًا وليس خفيفًا مثل سائقى.[٥]. لقد شاهدت الدسوقى محمولاً إلى المستشفى مع سائق آخر . . لا أظنها صدفة . .

جذبه إمام بعيدًا وراح يحدثه بهدوء بعد أن لوّن حديثه بمسحة من الدفء والشجن . .

ـ اسمع . . سأترك لك المال . . ولن أؤاخذك على خيانتك . . كل ما أرجوه منك أن تحتفظ بكل هذه المعلومات لنفسك . . ثق أننى أراقبك كأنى أعيش معك . . وإلا ما كنت قد عرفت سر الحفرة التى بها المال . . هل تشك فى كلامى؟ . .

ـ الحقيقة . . لا أشك فى كلامك . . فأنت شيطان . . ولو كنت قد أخذت فرصتك فى رئاسة الحزب . . فكان لا بد أن يعدل اسم الحزب إلى : حزب الشيطان .

* * *

(٦)

أنت الخوذة الصدئة التى نقوم بتلميعها

أمسكوا به وهو ينقب عن خبيئته فى جرف وضيء على حافة النيل . . ارتعد وهو يشاهد فى أيديهم الغلاف البلاستيك وبداخله المظروف الذى لا يخفى عليه شكله . . قال لهم أنتم من عند الشيطان . . أنتم شياطين مثله . . سألوه أن يصف لهم شيطانه الآثم . . قال لهم : له سمت النسّاك وما هو بناسك . . وهدوء النبلاء وما هو بنبيل . . وشهامة الفرسان وهو حقير . . يبيع القيم والمبادئ فى سوق الرقيق . . ويشترى الذمم والضمائر كما يشترى النِّعال . . ولذا فهو يصبو أن يكون رئيسًا . . ومصيبتى أننى لم أختره . . ألقيت برشوته فى التراب حتى ألقى بصوتى آمنًا فى بحر الذهب . . اخترت أحمد منصور . . هزنى أن أسمع من أحمد منصور هذا حديثا طيبًا عن الأقباط وأنهم أصل المصريين . . وهزنى أن يتسع برنامجه لهم بالقدر الذى يتسع لاستيعاب آمالهم . . وهزنى أن ينادى بحذف خانة الديانة من البطاقات التى لم يطرأ عليها تغيير منذ العهد العثمانلى ؛ لأن الخانة التى لا خلاف عليها هو أننا جميعًا أبناء مصر . . أموالكم معكم فردّوها إليه . . اتفقت معه أن يحفظ كل منا سر الآخر . . ما أسوأ أسراره وما أتعس سرى ! . . لقد أبعدنى ضميرى أن أبيع صوتى وكلمتى . . ولكن قرّبنى طمعى أن آتى إلى هنا بإغراء من الشيطان . . «أجل . . سوف آتى معكم» . .

وذهب عزت كامل إلى حيث لا يدرى . . ذهب وشبح زوجته يطارده وينادى عليه : ما الذى فعلته يا مجنون؟ . .

* * *

وكان عبد الكريم الدسوقى ممدداً فوق سريره ونحن نحيطه بكل الحب . . أحمد منصور ـ مفتاح الصاوى ـ الدكتورة راوية . . وأنا . .

والرجل حزين من أجل السائق الطيب الذى التقطه حبًا وشهامة من على بعد أمتار من منزله :

«إلى أين يا حاج؟ . . ـ إلى القناطر . . ـ أنت فى طريقى . . تفضل . . »

ـ يا الله . . لماذا يموت الطيبون؟ . . لا أدرى كيف انحرف فجأة نحو شجرة عتيقة . . الشجرة كانت على يساره . . وكان هو أقرب ما يكون إلى مركز الاصطدام، فمات متأثراً بجروحه . .

كان عبد الكريم الدسوقى دمثًا وكتومًا؛ إذ كان قد قرر ألا يفصح عن الزياره المريبة التى جاءه فيها المعلم إمام ليساومه على صوته . . آثر الرجل أن يحتفظ بهذا السر فى صدره . . فلا أحد يعلم ما الذى ستأتى به الأيام . .

وماتت كل الأسرار . . إلا سر أوراق البنكنوت المزيفة . . لقد راح إمام يحوم حول من صرف لهم هذه الأموال متشممًا أى خبر حول مصيرها . . ولما لم يجد أى أثر لما قيل له عن رصد وتتبع رجال المكافحة لخط سيرها أيقن أنه ضحية كذبة أرهبه بها الأمريكان . . خاصة عندما تذكّر أن الأموال السائلة الوحيدة التى تلقاها منهم مباشرة هى أموال المسكين عزت كامل، أما باقى المدفوعات فقد كان يصرفها من البنك بشيكات . . «يا إلهى . . كيف لم يخطر ذلك على بالى إلا الآن؟ . . اللعنة أيها الشياطين . . » .

قال لهم : الضحية فى هذه الجولة شخص واحد . .

قالوا له : نحن لا نهتم بالضحايا . . من لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شبح الموت . . فليمت . . نحن نحب القوى اللئيم . . وتأمل بنفسك مَنْ مِنَ الملوك العرب عاش طويلاً حتى انتقل من العرش إلى القبر . . إنهم الأقوياء اللئام . .

قال لهم : لا أدرى لماذا كنت مهزوزًا ومرتبكًا وأنا أعلن استمرارى فى المنافسة على الرئاسة . . لن أنسى نظرة أحمد منصور النارية التى صوبها نحوى . .

قالوا له : أحمد منصور ما زال يتملّكه الإعجاب بك . . كل ما هناك أنك خدشت هيبته بعض الشيء . . إنه قوى وعنود ، وقد رآك كذلك فى مواجهته . . القوى يأنس فى خصومته لقوى مثله . . ما أكثر الأقوياء الذين فرّطوا فى حقوقهم ـ نبلاً ـ لخصوم ضعفاء ! . .

سألهم : بالله عليكم . . لماذا لم تراهنوا على هذا الخصان المضمون؟ . .

قالوا له : ومن أدراك أنه حصان مضمون؟ . . إنه ملْكُ نفسه . . ومن الصعب أن نمتلكه . . الروس لم يراهنوا على السادات عندما أحسنوا قراءته . . أراحوه بمعاهدة ألح عليها وهم يعلمون أنه يغازل أمريكا . . يغازلنا . . وعندما دهسهم فى الوقت المناسب أيقنوا أنهم كانوا على حق . . وأنه مجرد فرعون لئيم جاءهم من وادى الملوك على عجلة حربية قوامها المكيدة وظاهرها المسكنة . .

سألهم : وأنا؟ . .

قالوا له : أنت الخوذة الصدئة التى نقوم بتلميعها . . أنت الأسنان المعوجة التى نقوم بتقويمها . . أنت الثعبان الذى لا يعرف كيف ينفث سمه . . والشيطان الذى يبدو للناس ملاكًا . . والعاصفة التى لن يقرأ الناس موعد هبوبها إلى أن تهب . . أدخلناك فى أجهزتنا الحاسبة العملاقة . . وبعد مليارات الحسابات المعقدة التى لم تستغرق إلا دقائق قليلة أتت لنا بخبر عنك عظيم . . فأنت تملك أدوات النجاح والفلاح فى عبور بحر السياسة المتلاطم . . أنت «لولادى سيلفا» المصرى . . و«أردوغان» المصرى . . وكلاهما يحمل تاريخًا ذا نشأة متواضعة . . «سيلفا» كان يغسل سيارات البكوات بقروش . . وأردوغان كان يبيع السميط للمارة بقروش . . من منهما وهو فى عز تورطه فى جلب ما يقتات به كان يحلم أو يعلم بمكانته القادمة؟ . . إنها السياسة . . وإنه وإن كان قد عز عليهما أن يعملا على ازدهار طفولتهما لم يألوا جهدًا فى تحقيق ازدهار مشرق لحياة الأطفال فى أمتهما . .

وتريد أن تنسحب؟ . .

قال لهم : كلنا إلى انسحاب قادمون . . ضعوا فى حاسباتكم العملاقة ما تضعون . . فجمال مبارك هو الرئيس القادم لا محالة ومهما كنتم معترضين . .

قالوا له: قف عند هذا الخط.. ليس مسموحًا لبوز حذائك أن يلمسه.. وحتى لو حدث هذا وتولى جمال الرئاسة ألا يكفيك أن تكون على رأس أقوى أحزاب المعارضة؟.. ألا ترى أنك من الممكن أن تكون فى أى وقت على مرمى حجر من كرسى الحكم؟..

قال لهم: قلتم عنى ووصفتمونى بأننى سأكون «لولادى سيلفا» البرازيل المصرى.. أو «أردوغان» تركيا المصرى.. ألن يقول الناس عنى إننى «كرزاى» أفغانستان فى مصر؟.. فأنا الحاكم المصنوع والتابع غير المتبوع؟..

قالوا له: أليس كل حكام العرب الحاليين سوى مجموعة من الكرزايات الموضوعة؟.. أشر لنا على واحد منهم ليس كرزاى؟.. ومع هذا فهم الكرازايات الذين سرقوا عروشهم فى غيبة من شعوبهم وفى غيبة منا.. وأسوأ ما نجحوا فيه أنهم تمكنوا بقوة البطش بالشعوب والتذلل لنا أن يظلوا طوال هذا العمر فوق كراسيهم وعروشهم..

آن الأوان أن تختار الشعوب «الكرازايات» الذين نصنعها لهم.. وآن الأوان أن يقوم كل «كرازاى» بدوره المزدوج.. دور الديمقراطى الحنون مع شعبه.. ودور التابع الآمن لنا.. ويجب أن تفهم أننا لا نصبو إلى الإمساك بالعالم بين أصابعنا عبر حكام نصنعهم فقط، ولكنا نصبو إلى الإمساك بالشعوب نفسها.. ولعل فى تجربتك الصغيرة خير دليل على منهجنا.. إن حزبكم الوليد أرسى قاعدة حضارية لا ندرى كيف توصلتم إليها؟ وهى أن يشارك الشعب فى الحكم فعلاً لا قولاً.. فالأعضاء الستة المتجددون شهرًا بشهر ليسوا سوى الشعب الذى يجلس على منصة الحكم ويأخذ المشاركون منهم دورهم فى رسم السياسات ووضع القواعد وإرساء الأفكار.. ولك أن تتأمل ما حدث.. فغياب عزت كامل عن التصويت كان سيدفع بك إلى الرئاسة.. وحضور عبد الكريم الدسوقى للتصويت كان سيدفع بأحمد منصور إلى الرئاسة.. تأمل قيمة صوت واحد قبطى هنا.. مقابل قيمة صوت فلاح مسلم هناك.. لقد نجحتم فى إعطاء القيمة الحقيقية لصوت كل واحد فى حزبكم.. لأن كل عضو فى الحزب سيشارك فى الحكم ذات شهر من شهور السنة..

قال لهم : إذن فتجربتى الصغيرة بالنسبة لكم استمدت أهميتها من أنكم تمارسون فكرة شراء الشعوب؟ . . كنت ومن معى حقل تجارب صغيراً لديكم . .

قالوا له : لقد اشترينا لك شعبك . . دعنا من صوتك . . واسأل نفسك هل كان لك الحق فى الحصول على صوت نورا الفلاحة وصباح الإخصائية وحمدى العامل وفيكتور المدرس الأديب؟ . . هذا خليط نادر من أبناء الشعب . . كيف دانوا لك بالولاء؟ . . هل لسواد عينيك؟ . . أم لبهجة برنامجك؟ . . لا . . أيها الرئيس المنتظر . . إنه المال . . مالنا . . والتخطيط . . تخطيطنا . . صحيح أنك لم تنجح بسبب استعصاء حالة واحدة . . وهذا وارد . . ولكن أقل ما كسبناه هو تعرفنا على روح شعبكم الجديدة . . وسوف نتعرف على المزيد من ذلك عندما تخوض معركتك الثانية مع الأسماء الجديدة . . كنت ستسجل غلطة عمرك إذا كنت قد انسحبت . . كنت ستوقف معملنا عن العمل . . لقد اضطررنا إلى تهديدك حتى نتمكن من مواصلة قراءتكم . . لن يتوقف عشرات الموظفين فى إداراتنا فجأة عن العمل لأنك تريد ذلك . .

قال لهم : وصلنى التهديد . . ولسذاجتى داخلتنى الرهبة وانطلت علىّ قضية الفلوس المزيفة لأنى لم أتذكر إلا مؤخراً أننى سحبتها من البنك ماعدا ما تسلمته منكم من أموال سائلة تلك التى عصفت بعزت كامل . .

قالوا له : وفلوس البنك؟ . . هل تظن أنها ليست مزيفة . . أنت واهم . . فنصفها مزيف . . يا سيد إمام . . اعذرنا عن هذا القول الآتى : فى مثل حالتك لا بد أن نحْذر . . ولا بد أن نمارس معك لعبة الحمار والجزرة . . افهم ذلك من الآن حتى ترتاح وتريح . .

. . . . . .

«يا ولاد الكاااااااالب . . »

قال ذلك بعد أن أسقط السماعة فى مرقدها على جسم التليفون . .

* * *

(٧)

إن لم تنتخبنى: ستدخل السجن

هذه المرة كانت الفكرة أن يجمعهم جميعًا فى مكان واحد . . حفل تعارف بسيط حول منضدة لامعة تطل على حمام سباحة تتلألأ مياهه الزرقاء بأضواء الكهارب المنسكبة . . والمنضدة حافلة بالأطعمة الخفيفة والمشروبات البريئة براءة نظرات الفلاحة عطيات أبو دياب التى تلتهم فى دهشة كل ما يحيط بها من مرئيات . .

لقد اختاروا له ـ أو اختار لهم ـ هذا المكان الفسيح المبهج فى فندق دريم . . واختاروا له ـ أو اختار هو لضيوفه ـ هذا الميكروباص المكيف الذى مر عليهم فى بيوتهم فردًا فردًا ليلتقوا بمرشحهم الذى وجه دعوته لهم بالمرور على منازلهم للتعرف عليهم آخذًا فى توجيه هذه الدعوة . . ثم اختار أن يجلس بين السيدتين سناء المحمدى المدرسة ذات الجمال الهادئ والصوت الرزين وعطيات أبو دياب الفلاحة التى راحت تعلق بعفوية على كل ما يروق لها من بشر يتحركون، خاصة الفتيات اللاتى يلبسن المايوهات حول الحمام ويتمددن بطول الكنبة المرتفعة قليلاً عن الأرض . . كان إمام يداعب عطيات ويطلب منها أن تتصل به كلما راق لها أن تزور هذا المكان الجميل الذى من الواضح أنها مبهورة بجماله . . ولكنه اكتشف أن لها رأيًا آخر . . فهذا المكان «مسخرة» . . «هو يعنى الراجل والست دول مفيش عندهم صبر لما يروّحوا بيوتهم . . » . .

نظر بجواره ليرى المنظر الذى أزعجها واكتشف أن لها الحق فى الانزعاج . . تسلل بها إلى حديث سيؤدى به إلى حديث آخر حول انتخابات الحزب . .

ـ زمان قالوا لعبد الناصر الستّات مش حشمة فى الشوارع . . وانت السبب . . قال لهم إن البيت هو الأصل يا حاجّة . .

ردت بسرعة :

أيوه يا بنى . . الله يرحمه . . البيت هو الأصل . .

ـ طيب إذا كان عبد الناصر معرفش يصلّح احنا بقى اللى حنعرف؟ . . عليه العوض يا حاجة . . كل حاجة باظت . .

ـ بإذن الله أحمد بيه حيصلّح . .

سألها : أحمد بيه مين؟ . .

ـ أحمد بيه منصور . .

أفهمتها سناء الجالسة بجوارها وعلى وجهها البرىء بعض الخجل أن الأستاذ إمام مرشح لرئاسة الحزب ضد أحمد منصور . .

ـ يعنى أحمد بيه مش هو الريّس؟ . .

عادت سناء فأفهمتها أن هذا يرجع لنصيبه وحظه فى الانتخابات . . فردت عليها :

ـ انتخاب إيه ، وكلام فارغ إيه؟ . . أحمد بيه هو الريّس . . إبراهيم ابنى لما قاللى أنا رايح حزب أحمد بيه قلتله لازم تاخدنى معاك . .

وتخطت موضوع الانتخاب والترشيح ولم تعطه أهمية وكأنه أمر مسلمٌ به ذلك الذى استقر عليه رأيها ، ثم راحت تحكى لهم عن ولدها إبراهيم الذى كان يعمل فى إحدى شركات الحكومة ويقومون بتفجير الجبل (بالدلاميت) وآخر النهار يأخذ معه فى صندوق السيارة الديناميت المتبقى من عهدة اليوم . . «المباحث كانت تفتش السيارات للقبض على الإرهابيين ، ومسكوا إبراهيم بالصوابع اللى فى الصندوق . . حكموا عليه ظلمًا بالسجن ١٥ سنة . . لولا أحمد بيه «هتهت الدنيا وطلّعه براءة» . . وعلى ما أفرجوا عنه كانت عنيّه انعدمت من العياط . . الله يخليه . . أحمد بيه . . » .

يئس منها عندما اكتشف أنها حالة مستعصية على الفهم والتفهيم والتفاهم . . فهمس لسناء بخفة دم :

ـ دى خلاص . . أحمد بيه لزق هنا (وأشار إلى مخه) بغرا . .

ردت سناء بهدوء :

ـ ولها حق طبعًا . .

سألها هامسًا مستغلاً انشغال الآخرين فى أحاديث جانبية :

ـ انت تعرفيها؟ . .

ـ لأ . . بس اعرف أحمد بيه . .

اعتدل فى مواجهتها ولسان حاله يقول :

«وايه حكايتك انت كمان؟ . . » .

ـ تعرفيه إزاى؟ . .

ـ قريبى . .

(سقط قلبه بين ضلوعه) وهى تكمل :

. . . . . ابن خالة أمى . .

هذه المرة لسان حاله يعلق :

(يا نهار منيّل بستين نيلة) . .

وراح يعطيها أذنه وهى تكمل كلامها . .

ـ وعلى فكرة هو عارف بالمشوار ده . . وقاللى روحى . . إنت حرة فى صوتك . . (وكمان عارف . . وقالّك روحى . . طبعًا ما هو راجل ليبرالى) . . خالى أحمد بيه ما يحبش يغصب على حد (يا بنت الإيه . . وإيه لزوم الكلام ده؟ . . عاوزه تقولى إن أنا باغصب عليكم . .) . .

التقط كلامها المقدّس ألبرت عازر تاجر بقالة الجملة الشهير الذى تخلى عن ملابسه المتواضعة التى يراه بها الناس فى متجره الفسيح . . ويبدو الآن فى بدلة فخيمة وعلى رأسه فاروقية مدببة الركنين لامعة، بدا من أسفلها جزء من شعره الفضى الناعم . . لقد احتشد بهذا القدر الهائل من الأناقة وهو يتحرك لهذا اللقاء الهام احترامًا للدعوة وصاحبها . . إن ما يبدو من مظهره أنه جاء طاعة وحبًا واحترامًا . .

وماذا عن جوهره؟ . .

راح يقول تعليقًا على حديث المدرّسة سناء . .

ـ أول مرة أعرف أن أحمد بيه خالك . .

ـ مش خالى لزَمْ . .

ـ مش مهم . . معرفته نفسها تدعو إلى الفخر . . ما بال قرابته؟ . .

ثم توجه بالحديث إلى إمام بشكل مهذب وهادئ:

ـ على فكرة يا سيد إمام . . وصلنا إن حضرتك كنت على وشك التنازل أمام أحمد بك . .

وتوقع الجميع أن يكمل الرجل سؤاله هكذا:

ـ لماذا تخليت عن هذه الفكرة؟ . .

ولكن ألبرت عازر الحصيف لم يكمل سؤاله وتركه يُكمل نفسه بنفسه أمام الناس . . وعندما لاذ بالصمت . . أعلن صمته أن الدور على إمام ليضع الإجابة على سؤالٍ لم يُطرح .

قال إمام: لائحة الحزب تنص على إعطاء الفرصة لثلاثة لخوض معركة الرئاسة . . أو اثنين على الأقل . . لقد أردت فى بادئ الأمر الحفاظ على الشكليات الديمقراطية . . وامتدت رغبتى إلى ما هو أبعد من الشكليات . .

وتوقف إمام عن المزيد من التوضيح . . وكان من الواضح أنه يتحدث وهو سارح ومشغول، ولا يبدو أنه مستعد للإفاضة . . ومن المؤكد أنه كان يعيد حساباته بعد تأكده

أنه فقد الآن وللتو ثلاثة أصوات: المرأتين وواحد من المسيحيين.. ومعنى هذا أنه أصبح خارج المنافسة، وهو الحريص على جمع الناس لتعزيزه، وأن أحمد منصور ينافس بقوة رغم عدم حرصه على جمع الناس وبث الدعاية لنفسه بينهم..

تنحنح بحار إدارة الرى عبد العزيز جابر ويمّم وجهه شطر إمام قائلاً:

ـ فى قلبى كلمة.. لوحبستها ستؤلمنى.. ولو قلتها ستؤلمك..

ناداه حلمى أبو عكاشة الفلاح الجالس فى صمت منذ وصوله:

ـ طلّعها.. طلّعها.. وإلا تموت يا عبد العزيز..

التفت عبد العزيز إلى الفلاح قائلاً:

فيه حديث عن الرسول ﷺ يقول: (إنكم تحرصون على الإمارة.. وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها) وأنا شايف يا أستاذ إمام إنك حريص على حاجة مش من حقك..

تصدت عطيات أبو دياب لحديث الرجال وقاطعتهم عندما راق لها أن تقدم لهم عبد العزيز مرسى جابر كما تعرفه هى:

ـ عبد العزيز الله يبارك له من بيت علْم.. جده الله يرحمه الشيخ جابر، كان أزهرى وعالم كبير فى المنطقة.. الكتب عندهَم خزاين خزاين.. عبد العزيز هو اللى بيخطب الجمعة عندنا على طول..

وكأنما راق لعبد العزيز جابر هو الآخر أن يؤكد ما تقوله عطيات، وأنه ليس بحّارًا قدر ما هو متبحر فى العلم فقال:

كان الرسول ﷺ يمنع الإمارة ممن يحرص عليها، وكان يقول: (إنّا لا نولّى من سألنا) حتى أنه قال لأبى ذر الغفارى وكان قد طلبها: (إنك ضعيف.. وإنها أمانة).

وكانت فرصة للمدرسة سناء عبد الموجود قريبة أحمد منصور أن تعزز خالها فى غيابه..

ـ وبصراحة يا أستاذ إمام مش معقول الناس دول يروحوا لك ويسيبوا أحمد بك.. وآدى انت شايف.. هى أمانة كبيرة.. ومتآخذنيش، إنت ضعيف عليها..

أحس بدخان ساخن يتصاعد من وجهه . . وكان صمته هو الاختيار الوحيد والأمثل . . فماذا يقول فى مواجهة تلك الحملة المؤدبة التى لسعت جلده بسياط التأنيب والاستخفاف؟ . . كيف يواجه كل هذا العدد من المعارضين؟ . .

«ليتنى وافقت على الانسحاب . . ليتنى وافقت على الانسحاب» .

اعتدل سامح لطفى أبادير مدرس الرياضيات بالمدارس الثانوية ووضع ساقًا على ساق . . وربت براحته خفيفًا على ركبته وهو يتهيأ لقول من عنده ، فهو الوحيد الذى لم يتحدث حتى الآن . . ربما آثر الصمت والاستماع حتى يتعرف على رأى الجماعة . .

ـ الكلام اللى الأخ عبد العزيز قاله على لسان الرسول ﷺ هو الكلام المثالى . . ولأنه مثالى فمش ممكن يمشى الأيام دى . . أيام زمان كانت المناصب محدودة والناس معدودة . . ومفيش حاجة اسمها ترشيح وصناديق انتخاب ودعاية كل واحد فيها يعلن عن نفسه علشان الناس تعرفه . . الدنيا اتغيرت . . وعشان كده الرسول قال : «أنتم أدرى بأمور دنياكم» والسيد إمام يُشكر لأنه وضع نفسه فى هذه المسئولية ، ونتمنى أن يكون قصده طبعًا مصلحتنا وتدبير مصالحنا ، مش يعمل زى الناس التانية يكون طالب أبهه وتشريف . . خصوصًا إنه بينافس شخص عظيم له سمعته ووضعه عند كل الناس وخادم الصغيّر قبل الكبير . .

ثم توقف لحظات قبل أن يواصل الحديث . . فاستطاعت عطيات أبو دياب أن تنفذ إليهم خلال هذه اللحظات بكلمات معدودة تتمشى مع آخر ما قاله الرجل الناعم الأنيق الذى لا تعرفه . .

ـ إلاّ خادم الصغيّر قبل الكبير . . الله يبارك له . .

واستطرد الأستاذ سامح . .

ـ من حق السيد إمام أن يرشح نفسه ويعرض خدماته ، ومن حقنا أن نوافق عليه أو لا نوافق . . المهم يكون عنده برنامج . . وطبعًا احنا عارفين إن الحزب له برنامجه . . فهو فى جميع الأحوال مرتبط ببرنامج الحزب يكون حريصًا عليه ويضيف عليه من عنده . .

والتفت إليه كأنما يقول له : «تحدث . . لقد فتحت لك المجال . . » .

تنحنح إمام ثم قال :

ـ أنا من أنصار الفعل وليس الكلام . . الحمد لله أنا فى الأسابيع الأخيرة قدرت أعمل حاجات فيها فايده كبيرة لأهل المنطقة . . وسلمتها لناس من أعضاء الحزب يشرفوا عليها . . أول حاجة جهزت مدرسة لمحو أمية البنات المتسربات من التعليم وفْ نفس المكان جمعية تعاونية لبيع المواد الغذائية بأسعار الجملة . . وأسسنا دار نشر كبيرة بيديرها راجل محترم من الأعضاء . . وعملنا جمعية لرعاية الحرفيين العاطلين وأسرهم بيشرف عليها واحد من أبناء الحزب . . الحاجات دى كلها عملتها قبل ماحد يعطينى صوته . .

واجهه تاجر الجملة ألبرت عازر بسؤال مباغت :

ـ والحاجات دى كلها من مالك الخاص؟ . .

نكس إمام رأسه نحو الأرض قليلاً قبل أن يقول :

ـ الحمد لله . .

صوّب المقدس ألبرت نظره نحوه بشىء من التفحص :

ـ إنت زمان كنت راجل غنى . . من كبار أعيان حلوان . . بس انت نقلت نفسك عندنا وسكنت بالإيجار لما الدنيا اتغيّرت معاك والحاجات اللى انت بتتكلم عنها دى تتكلف كتير . . كتير . .

ارتعد إمام خشية أن يكون هناك من يعرف مصدر تمويل مشروعاته المريبة . .

ـ الناس أسرار يا مقدّس . . هو لازم الغنى يحط يافطة على بيته إنه غنى . .

ويبدو أن هذه العبارة لم تقنع حلمى أبو عكاشة فأسرع بإطلاق هذه الحكمة . .

ـ عمر الغِنَى ما كان سر . . وعمر الفقر ما كان سر . . الاتنين دول ريشة على راس أصحابهم .

رفع سامح لطفى أبادير راحته اليمنى إلى أعلا مشيراً لحلمى أبو عكاشة أن يتوقف وقد بدا بعض الضيق على وجهه . .

ـ لسنا جهة محاسبة . . من فضلكم : لنا أن نناقش قيمة ما فعله الرجل . . ولا نناقش كيف فعله . . وإذا كان قد فعل ذلك فله الشكر . . وهذا يثبت أنه رجل كفيل بالتصدى للخدمة العامة . . والأمر أمامكم والرجل دعاكم فى هذا المكان اللطيف لتتعرفوا عليه عن قرب ويتعرف عليكم . . والكلمة الأخيرة لكم فى صندوق الانتخاب . .

وبلباقة الدبلوماسيين استطاع سامح لطفى أبادير توجيه دفة الحديث إلى حديث آخر حول هذا الفندق الجميل الذى يجلسون فى رحابه آخذًا فى مشاكسة عطيات أبو دياب التى راحت تطلق دعاباتها وتعليقاتها الفطرية البريئة . . وعندما انهمكت مع من حولها تسلل سامح معلنًا عن رغبته فى التريض خفيفًا حول الحمام وما إن سار قليلاً حتى لحق به إمام . . وسارا معًا متلاصقين فى هدوء . . وفى الوقت الذى كان فيه إمام يبحث عن مدخل للحديث مع هذا الرجل الهادئ العميق الأنيق حتى بادره سامح بسؤال :

ـ إمام؟ . .

ـ نعم . .

ـ فين عزت كامل؟ . .

ـ إنت تعرفه؟ . .

ـ عزت ابن عم مراتى . .

وكان إمام حصيفًا فرغم الجفاف الذى لحق بحلقه فجأة استطاع أن يدلى بهذه الكلمات فى ليونة :

ـ ممكن أجاوبك لما اعرف المعلومات اللى عندك عنه . .

توقف سامح عن السير . . والتفت إليه مصوبًا إليه نظرة حادة :

ـ المعلومات اللى عندى مش عنه هو . . المعلومات عنك انت . . إنت بتلعب لعبة غامضة وخطيرة . . ومش ممكن تكون بتلعبها لوحدك . . إنت وراك جهة أمنية . . الفلوس المزورة من عندك، والسواق اللى ركب معاه من عندك . . والسواق اللى مات فى حادثة عبد الكريم الدسوقى من عندك . . عزت قال لمراته كل حاجة وهو فى

السجن . . وطلب منها تبلغنى . . ولحد دلوقت ما اتكلمش . . أنت عارف إنه جبان . . أنا لمّيت القعدة دى عشان أكسب ثقتك . .

ـ فعلاً . . واشكرك . . بس انت عايز تعرف منى إيه؟ . .

ـ إنت مين؟ . .

ـ أنا واحد عندى طموح أكون رئيس الحزب . .

ـ بأى شكل؟ . .

ـ بأى شكل . .

ـ وبأى وسيلة؟ . .

ـ وبأى وسيلة . .

ـ مين اللى وراك؟ . .

ـ مش مهم تعرف . .

ـ بس الناس دول مش حينتخبوك . .

ـ لأ . . الناس دول حينتخبونى . . وانت اللى حتشجعهم . . وانت المسئول عنهم . . والتمن بسيط جدّا . . إما عزت يطلع من السجن . . أو تدخل انت السجن معاه . .

تراجع سامح لطفى أبادير إلى الخلف . . وحملق فيه . . ولمح منضدة قريبة خالية وحولها بعض الكراسى . . فزحف بعض الخطوات القليلة إليها، ثم جلس وهو ما زال محملقًا فى محدثه . .

ـ دا انت شيطان بقى؟ . .

كان إمام قد جلس فى مواجهته . .

ـ تقدر تقول كده . .

ـ ومتحالف مع شياطين؟ . .

ـ وأكثر من الشياطين بشوية . .

ـ وإيه التمن اللى حتدفعه؟ . .

ـ كل واحد خمسين ألف جنيه . .

ـ فلوس مزورة . .

ـ لأ . . شيك يصرفه من البنك يوم ما انجح . .

ـ مش مقدم يعنى؟ . .

ـ لأ . . مؤخر . . وتاريخ الشيك نفس يوم التصويت . .

ـ إنت محتاج ٦ أصوات عشان تكسب . .

ـ إحنا سبعة . . أنا محتاج ٦ . . لو واحد غيّر رأيه مش مهم . .

ـ وده طبعًا حيصرف شيكه . .

ـ طبعًا . .

ـ هى سناء اللى حتغيّر رأيها عشان قريبها . .

ـ جايز . .

ـ الشيكات جاهزة . .

ـ حادخل الفندق أكتبها . . إنت مهمتك تنده عليهم واحد واحد هنا . . وتقنعهم . .

ـ ماشى روح اكتب الشيكات . .

وتحرك إمام نحو مدخل الفندق فى الوقت الذى كان فيه سامح يشير بيده نحو المنضدة البعيدة، وكان أول من شاهده هو البرت فهمى عازر فاستجاب لإشارته بالحضور عنده . . فذهب إليه . .

* * *

(٨)

لا تنس أنه شيك رشوة ..

لم يكن هو نفس القاضى الفكهْ الذى أشرف على الاقتراع الأول . . إنه قاض جديد . . قاض آخر . . وبصحبتهَ ثانٍ . . وكان يصحبهما عدد مِنْ ضباطٍ وأفرادٍ الشرطة يجلسونَ خارج القاعة . .

ها هو يُفرغ الصندوق الصغير من أوراقه فوق المائدة المثلثة بوجه متجهم . . وكان هذا التجهم كافيًا لبث الصمت والترقب ومثول طائر التوجس مرفرفًا فوق رءوس الجميع . .

وها هو التجهم الحقيقى يزحف رويدًا رويدًا على وجه المعلم إمام . . فالأصوات كلها تتجه إلى أحمد منصور ليحصد تسعة أصوات كاملة مقابل صوتين للمعلم إمام . .

راح يصوّب نظراته الحاقدة نحو الناخبين الستة واحدًا واحدة . . خيل إليه أنهم جميعًا يشتركون فى إيماءة ما يرسلونها إليه رمزًا . . الإيماءة تقول : أنا الصوت الثانى الذى انضم إلى صوتك . . إذن ، فكلها إيماءات كاذبة . . تركهم يُقبلون نحو أحمد منصور ليمنحوه قبلات التهانى . . لم يجد فى نفسه القدرة على فعْل ذلك . . قواه خائرة . . جذعه مكسور يسرى فيه ألم طارئ . . أمسك جنبيه بكلتا راحتيه . . إنها محاولة لتخفيف الألم القادم توًا . . سار خطوات قليلة حول نفسه . . ثم سار خطوات قليلة نحو الجمع المتفجر بالفرحة . . ثم عاد فابتعد عنهم وراح يدور حول نفسه من جديد . .

أحسست بخوف عليه وكنت أرْقبه عن قرب . . تحركت نحوه . . شاهدنى قادمًا إليه . . واجهنى بابتسامة ذابلة . . تولانى الإشفاق عليه وأنا أرى ولأول مرة شكل ابتسامة الانكسار والسقوط . . حتى السقوط له ابتسامته المعبرة . .

قلت له قبل أن أصل إليه :

ـ الراجل ابن البلد اللى كله نظر . . مش لازم يبارك لرئيس حزبه قدام الناس كلها . .

قال لى بصوت خفيض به إعياء :

ـ أنا عامل حسابى آخد له ورد وأروح أبارك له فى بيته . . عارف ليه؟ . .

ـ ليه؟ . .

ـ عشان يبقى بعيد عن الناس دى كلها . . الناس دول خدعونى . .

لاحظت أنه مشغول بمراقبة شخص واحد فى كل هذا العدد من الناس . . ثم لاحظت أنه يفتش عنه بين الرءوس المزدحمة . . ثم لاحظت أنه تركنى دون استئذان وأسرع نحو الباب . . صوبت بصرى نحو هدفه الذى يسرع خلفه ، وجدته يتجه صوب سامح لطفى أبادير . .

كان سامح قد تخطى الباب . . راح إمام يهدئ من خطواته ـ المسرعة نحوه ـ حتى لا يلحظ القوم مطاردته لسامح . . جمعهما فراغ الصالة الصغيرة المؤدية إلى السلم . . أوقفه بنداء خفيض . . توقف سامح وعلى وجهه ابتسامة أخرى . . ابتسامة من نوع آخر . . ابتسامته تجمع بين التشفى والشفقة . . أو بين خيبة الأمل والاستخفاف . .

ـ معلهش يا إمام . . خيرها فى غيرها . .

ـ بالبساطة دى؟ . .

ـ وأنا فى إيدى إيه؟ . .

ـ إيه اللى حصل؟ . .

ـ سيبك من اللى حصل . . كلِّم البنك بسرعة يوَقِّف صرف الشيكات . .

ـ هما حيروحوا يصرفوا الشيكات كمان؟ . .

ـ ليه لأ؟ . . إنت مش عندك صوت غير صوتك؟ . .

ـ والصوت ده بالصلاع البنى . . صوت مين؟ . .

ـ كل واحد حيقول صوتى . . أنا شخصيًا متأكد إنه صوتى . . وكنت طالع دلوقت أصرف الشيك . . (قالها بنوع من الاختبار وجس النبض) . .

كشّر إمام عن أنيابه . . وكوّر قبضته فى الهواء كابحًا رغبته المستفزّة أن يرسلها فى وجهه . . لم يرمش جفن لسامح، وظل على وقفته الواثقة وهدوئه الواضح . .

- لاحظ انك حتعمل فضيحة لو أعصابك فلتت . . إهدا شوية . . وتعال نتكلم بره . .

وسبقه إلى السلم الذى راح يهبطه برشاقة، وراح إمام يهبط خلفه بتثاقل لم يكن له ذنب فيه .

راح سامح يُفهمه أنه ومن يخططون له لا يفهمون الشعب المصرى . . فلا يوجد فى الانتخابات من يشترى الأصوات بشكل جماعى . . ولا يوجد من يعقد صفقة مريبة وغير شرعية مع ستة أفراد وكلهم يعلمون أنه من الممكن لواحد منهم أن يتسرب من السرب الآثم . . «كان لا بد أن تطرح سناء عبد الموجود من الصفقة وتحرص ألاّ تعلم عنها شيئًا . . على الأقل كنا سنضمن بذلك ألا يعلم خالها أحمد منصور بتحركاتك . . ولا يتدخل لإفساد خطتك» . .

ـ طيب ليه ما عملتش كده؟ . .

ـ أنا بانفِّذ تعليماتك . .

ـ تعليماتى؟ . . أنا قايل لك إنك المسئول عن الناس دى كلها . . قول إنك كنت قاصد كده . . وعملت معايا اتفاق وفيه قنبلة جواه تنسفه فى أى وقت . . كان لازم أعمل حسابى، وآخذ حذرى من لؤم المسيحيين . .

همس سامح لطفى أبادير الأنيق الرقيق الهادئ الناعم لنفسه :

«لسّه فاكر يا إمام؟ . . أخيرًا فهمتها؟ . . واحد داخل على بحر السياسة وتفوته نقطة

زى دى؟ . . كان لازم تعرف يا عبقرى إن كل ناخب من الستة راح يحجب صوته عنك معتمدًا على احتمال أن الباقين سيمنحون أصواتهم لك مقابل المال وما دام صوت واحد مسموح له أن يفلت . . فماذا يمنع أن يكون هذا الصوت هو صوت هذا الناخب؟ . . وقد ظهر الآن أن هذا الاحتمال تكرر خمس مرات . . ونلت يا مغفل تواطؤ خمسة أصوات رغم أنهم لم يتفقوا مع بعضهم البعض على التواطؤ . . بل اتفق كل واحد فيهم مع نفسه . . وبدلاً من أن تبحث إذا نجحت عن الصوت السالب . . أصبحت تبحث بعد سقوطك عن الصوت الموجب . . لأن هذا الصوت الموجب أثار غيظك أكثر . . لأنه سيمنعك أن تلعنهم جميعًا فى وقت واحد . . فكيف تلعن ـ ضمنًا ـ واحدًا منهم أخلص لك . . واحدًا لا ذنب له . . واحدًا نفّذ الاتفاق» . .

أفاق سامح على إمام يمد له راحته اليمنى . .

ـ هات الشيك . .

مد سامح يده فى جيبه بسرعة وأخرج ثلاثة شيكات :

ـ شيكى . . وشيك سناء . . وشيك الشيخ عبد العزيز البحّار . .

ازداد غيظ إمام وراح يفكر فى الثلاثة الباقين . . التاجر . . والفلاح . . والفلاحة . . فواحد منهم ـ بالتأكيد ـ أعطاه صوته . . مطلوب منه أن يعرفه . . فالمشكلة ستقع معه هو وليس مع الآخرين . . إذ إنه سوف يتمسك بصرف الشيك لثقته أنه لم يُخل باتفاقه . . وهو لن يسمح له بذلك إذ إن الاتفاق يقضى أن يكون نجاحه هو القاضى بصرف الشيكات لكل الأصوات حتى الصوت المحجوب إذا حُجب . . .

حاول سامح أن يتسلل مستأذنًا بصوت خافت تفاديًا لمواجهة عاصفة يراها ترتسم على ملامح إمام فأوقفه إمام بجذبة خفيفة . .

ـ رايح فين؟ . . ادخل هاتلى باقى الشيكات .

توقع سامح حدوث هرج إذا استدعى الناس هنا فى المدخل لتسليم الشيكات . . فاقترح على إمام أن ينتظره فى المقهى القريب من الدار . . وكأنما قد رأى إمام أن ذلك

هو المكان المناسب فأومأ برأسه موافقًا، ثم تهادى هابطًا السلم وفى قلبه بعض الرضا؛ إذ وجد سببًا مُلزمًا له أن يبتعد عن الدار بما فيها من حفاوة تعلو أصواتها حول غريمه أحمد منصور. . وقطع المدخل إلى الخارج قاصدًا أن يضفى على خطواته بعض الثبات والرزانة عندما لمح أعدادًا من الناس تقف على مشارف الدار. . لقد جاءوا لمتابعة التصويت وتلمس الأخبار. . أومأ إلى بعضهم بالتحية مداريًا خجله فى ابتسامة لا معنى لها. . وتحرك على الرصيف فى اتجاه المقهى القريب متخذًا أحد المقاعد فى موقع يسمح له بمشاهدة الداخلين إلى الدار والخارجين منها. . وعندما ظهر سامح وبجواره حلمى أبو عكاشة متجهين إليه أيقن أنه لم ينل سوى صوت حلمى هذا. . إذن، فالفلاح هو الوحيد الذى استجاب للاتفاق ووفى بوعده (احتار أن يلعنه أم يُحيى إخلاصه !!).

جلس سامح بجواره. . وجلس حلمى أبو عكاشة فى مواجهته. . مد سامح يده فى جيبه وأخرج شيكين. .

ـ اتفضل. . (وسلمه الشيكين). .

ثم أشاح بوجهه ناحية أبو عكاشة. .

ـ الراجل ده بـ. .

لم يدعه إمام يُكمل جملته. . فقال محتدًا وبصوت عالٍ:

ـ الراجل ده يسلّم شيكه. . خَلُّوا يومكم يعدّى. .

ويبدو أن سامحًا كان قد توقع هذا الغضب وعمل مقدمًا على وقف انفجاره فمهّد لذلك مع أبى عكاشة وأفهمه وهما فى الطريق أنه لا ينبغى تطبيق المثل القائل «موت وخراب ديار» على وضع إمام الذى خسر، ولا يحق لإنسان مطالبته بهدية ـ والهدية هنا هى مبلغ الخمسين ألف جنيه. . (إذا وجدته غاضبًا فسلمه الشيك فورًا حتى لا تدخل أنت الآخر فى فضيحة. . لا تنس أنه شيكِ رشوة). .

وما إن أطلق إمام كلمته الأخيرة حتى مد عكاشة يده فى جيبه وأخرج الشيك وسلمه لإمام وأدار له ظهره منصرفًا، وتبعه سامح دون أن يلقيا عليه التحية. .

سار إمام على غير هدى . . وكان هاجس الرحيل من هذا البلد قد طغى على فكرة الانسحاب من الحزب . . فهو أحرق نفسه قبل أن يحرقه الأمريكان . . فكيف استجاب لهم وسار فى ركابهم طمعًا فى اعتلاء السحاب؟ . . وراح يتساءل : وكيف سارت الأمور بهذا السوء حتى سقط من عليائه المزعوم؟ . . إنهم فى حالة صمت . . ولعلهم فى حالة ذهول وقد سمعوا عبر ميكروفونهم المتناهى الصغر كل الأحداث . . يبدو أنهم يفكرون فى مؤامرة جديدة . . ولعلهم يخترعون جولة جديدة . . «لا . . لا مؤامرة سأخوضها . . ولا جولة سأقطعها معهم . . ليس لهم عندى إلا دفتر الشيكات بما معه من شيكات محررة ومردودة . . وليحققوا لى مطلبى فى أن أهجع فى بيتى مبتعدًا عن هذا الهوان . . ما الذى كنت أقترب منه؟ . . حافة الحكم أم حافة الهاوية؟ . . ما الذى كنت أتجه نحوه : مشارف الرئاسة أم مشارف الموت؟ . . هل لمسكين مثلك يا إمام عرفَتْ أقدامه رصيف الضياع أن يحلم بالكرسى المقدس؟ . . كرسى الحكم؟ . . » .

وجاءه صوت من داخله :

«وهل كان السادات وهو يعمل تبّاعًا على سيارة من سيارات النقل يملؤها على كتفيه ويفرغها بالبضائع . . هل كان فى خياله أنه سيمتلك هذا البلد من أقصاه إلى أقصاه ذات يوم؟ . . وهل كان ستالين وهتلر وصدام حسين سوى بدايات مخجلة وهزيلة مع الطفولة المتشردة والضياع السادر فى عهد الصبا . . ؟ . . » .

تذكر أنه (لضم) ثلاثة من الرؤساء الطغاة فى خيط واحد ودون تفكير . . وتعجب . . هل هناك علاقة بين بداياتهم الضائعة ونهاياتهم التى أضاعوا فيها شعوبهم؟ . .

«أتراك يا إمام كنت ستكون واحدًا من هؤلاء؟ . . وهل كسبت البشرية الآن سقوط فكرة من أفكار الموت بسقوطك اليوم؟ . . هل يعتبر هذا اليوم هو اليوم الذى تدين له البشرية الغافية بتاريخ سقوطك؟ . . اليوم الذى سجل نهاية لابتداء كان من الأفضل ألا يتم؟ . . وها هو لم يتم . .

والله إنى لألمح فى داخلى بذرة تتحرك فى قلق . . بذرة تريد أن تنمو فى أى اتجاه

وكل اتجاه . . هل أسياد البيت الأبيض تمكنوا من التعرف عليها . . وحللوها وعرفوا أى شجرة ستكون؟ . . هل راهنوا على شخصى عندما وضعوا أيديهم على نوازعى التى لم أقابلها حتى الآن؟ . . لقد كنت وإياهم على وشك الوفاق . . كانوا سيمارسون إغراقى فى الأوامر والتعليمات الحريرية . . وكنت أنا سأمارس الطاعة . . الطاعة الحديدية . . والآن : لقد تنافر الحرير والحديد . . ويجب أن أعود إلى موطنى . . يجب أن أعود إلى قاعى المنخفض . . » .

* * *

(٩)

إذا تغابى .. فانسفوه

السفارة الأمريكية

سرى وهام **القاهرة ـ جاردن سيتى**

السيد النائب . . . . . .

بعد التحية :

لا يمكننا أن ندعى أن رجلنا «إمام إمام» لم ينفذ التعليمات حرفيّا . . لقد فعل ما طلبناه وجمع الناخبين فى جلسة واحدة . . وهو بالطبع لم يفهم مغزى ذلك بالنسبة لنا ، وبالأحرى لم يعلم إصرار قسم أنثروبولوجيا الشعوب فى إدارتكم على خوض هذه التجربة . . تجربة تقديم رشوة جماعية لمجموعة مختلفة النوازع والثقافات من المصريين . . المصريين الجدد . .

يجب أن نعود إلى اتفاقنا السابق من أن المصريين قد طرأت بعض التغييرات الواضحة فى تصرفاتهم وعاداتهم وتقاليدهم على إثر الأزمة الاقتصادية التى ضربتهم ، وأزمة الثقة التى لم تنفرج حتى الآن فيما بينهم وبين نظام الحكم بمختلف وزاراته المتعددة . . واتفقنا مع مختلف إداراتنا المهتمة بالموضوع من أن نوع الجرائم وقسوتها

تشير إلى ذلك . . وتعدد حالات الانتحار تؤكد ـ أيضًا ـ ذلك . . وكان القصد من الإبحار فى سيناريو إمام إمام هو التعرف على مدى تأثر الثوابت الأخلاقية لدى الشعب المصرى بما غرق فيه من كساد وفقر وظلم وأزمة ثقة .

لقد عدنا إلى ما كتبه بعض العلماء عن الشعب المصرى، باحثين عن العيوب التى يتمتع بها هذا الشعب، ووجدنا أنها عيوب تنبع من مزايا . . أو مزايا تحولت بفعل ظروف هذا الشعب إلى عيوب . . فهذا الشعب :

ـ يتمادى فى الصبر أزيد عن الحد المألوف . .

ـ يقبل أكثر مما يجوز قبوله . .

ـ مجامل إلى حد الإفراط . .

ـ يسكت عن الجهر بالحق طلبًا للسلامة . .

ـ قليل الثقة فى قدرته على التغيير . .

ـ يستسلم لغياب الإصلاح ويقتنع بما هو عليه . .

ـ يفقد همته طالما اقتنع بما هو فيه . .

ـ متسامح إلى درجة يبدو فيها هذا التسامح نوعًا من الجبن . .

ولقد تعرفنا على حقائق جديدة من هذا اللقاء الجماعى للناخبين الستة :

ـ تمسّك العامة والجهلاء بالقيم العليا . . ووجدنا ذلك فى تمسك الفلاحة بالوفاء لأحمد منصور محامى ولدها الذى أنقذه من السجن . . وكما وضعوا الشيك فى حافظتها سحبوه من حافظتها دون أن تعلم السيدة ما الذى كانت تحويه هذه الورقة .

ـ تمسك المدرِّسة بقيمة صلة الدم، فقد قلبت المائدة على خطتنا ورفضت استلام الشيك وفاء لقريبها أحمد منصور، ومن المؤكد أنها سلمته الخيوط التى حوّلها إلى حبال ولفها على عنق إمام . .

ـ تمسك البحّار الفقير بروح الدين ووازع الضمير، وأن ما فعله علنًا من رفض استلام الشيك قاله علنًا فى الاجتماع مستندًا إلى أحاديث لرسولهم يحفظها عن ظهر قلب، وكلها تدعو إلى عدم التكالب على المناصب. . ولم تكن هناك فجوة بين ما قاله وما فعله عندما رفض استلام الشيك. .

ـ أما الخبث الذى يتحدثون عنه والذى يلجأ إليه بعض الريفيين فقد بدا ذلك واضحا عندما راق للفلاح أبى عكاشة أن يمسك العصا من المنتصف ويتكئ على الهجوم الذى شنّه البحّار المتدين ضد إمام دون أن يعلن عكاشة رأيه. . وقد خُدع عندما أعطى صوته لإمام ظنًا منه أن نصف الناخبين على الأقل سيفعل ذلك، وأنه لن ينكشف. . والغريب أنه عندما انكشف لمَ يجبُن ولم يتوار وأعلن بشجاعة حقيقية موقفه، وهى شجاعة مبررة؛ إذ ظن المسكين أن ثمنها هو قيمة الشيك الثمين الذى يرقد فى حافظته. .

ـ أما المسيحيان فقد أكدا فعلاً ما يُؤخذ على المسيحيين فى مصر من أنهم يجيدون الدهاء والمناورة. . وهذا أمر طبيعى لأناس يعانون من قلة عددهم قياسًا بالمسلمين. . ودهاؤهم نوع من أنواع التُقية وتجنب العنف وتفادى الصدام. .

فالتاجر رغم جُرأته فى مهاجمة إمام احتفظ بالشيك حتى يستمتع بقيمته فيما لو نجح إمام بواسطة الآخرين. . رغم أنه لم يسع لإنجاحه. .

والسيد/ سامح أبادير أدار لعبة إسقاط إمام بجدارة وانتقام غير محسوس، خاصة عندما وضع يده على عدم جدارة إمام بما يسعى إليه. . إضافة إلى أنه لاحظ عدم اقتناع الآخرين بتولى إمام هذا المنصب. .

لقد وقف أبادير هذا فى صف المجموع موحيًا لإمام أنه فى صفه. . وظهرت عبقريته فى تعمده إدخال المدرّسة ـ قريبة أحمد منصور ـ فى لعبة الرشوة وهو يعلم أن هذه السيدة ستكون مدخل أحمد منصور لعمل تآمر مضاد فى الخفاء. . وللأسف الشديد فقد شربها رجلنا الذى لم يكن عند حسن ظننا فى هذه النقطة. . وظهر لنا أنه يمارس غلطة السياسى البارع. . الغلطة التى تجر معها كثيرًا من الويلات (تذكروا غلطة عبد الناصر عندما أغلق المضايق أمام إسرائيل قبل حرب ٦٧ . . لقد رفع درجة الحرب بنسبة

١٠٠ ٪ وكان لهذا التسرّع فى هذا القرار الذريعة لإسرائيل بشن حرب دمرت جيوشه ودمرت مشروعه القومى) . .

وأخيرًا . . يبدو لنا أن رجلنا إمام إمام قد تولاه اليأس . . وفترت همته وخارت عزيمته . . ولذا فقد أحجمنا عن الاتصال به انتظارًا لما يصلنا منكم من توجيه . .

مع وافر التحية ، ، ،

السفير

واشنطن

سرى وهام — وكالة المخابرات المركزية الأمريكية

C . I . A

مكتب السيد نائب المدير

السيد / سفير الولايات المتحدة الأمريكية

جاردن سيتى - ج . م . ع

تحياتى :

لم تأت الرياح بما تشتهى السفن كما يقولون . . ولعلك تذكر ما تحدثنا عنه فى مراسلاتنا السابقة من وعورة الشخصية المصرية . . وهذا ما يجعلنا نؤيد إسرائيل فى خشيتها الدائمة من المصريين ، رغم ما توصلنا إليه من كسر شوكة هؤلاء المصريين واستئناسهم وإظهار هوانهم على أنفسهم وعلى مرأى من العرب ، ولذا فإن قوتهم الكامنة هى البابُ الذى يجب أن نعمل على إغلاقه بإصرار . . ولعل ما لمحناه فى مشروع القومية المصرية الذى يتبناه أحمد منصور جعلنا نعزف عن التعاون مع هذا الرجل على المستوى الشخصى للأسباب التى ذكرناها سابقًا من أنه من الصعب إفساده ، وصعوبة تمشيه مع مشروعاتنا القادمة . . المشروعات التى بدأ يلمحها بعض المثقفين من تقسيم نأمله فى السودان تمهيدًا للمزيد من إضعاف مصر . . ثم ما نصبو فى المستقبل البعيد إليه من تفتيت مصر نفسها إلى دولتين فى الشمال والجنوب . .

لا أنكر أننا كنا بحاجة إلى مثل هذا «الإمام» ، ويجب أن نحرص على معاودة الكرّة معه أو مع من يشبهه ؛ إذ ليس من الممكن أن يمضى مشروعنا فى المنطقة دون أن تكون القاهرة عجينة طيّعة فى أيدينا . . القاهرة هى المدخل الحقيقى لكل القضايا سلبًا أو إيجابًا . .

الليبيون ينزفون آخر ما عندهم من ثغاء وتخريف ، وعندما يهلل الشعب الليبى قريبًا لتنصيب ابن القذافى سنكون قد أحكمنا قبضتنا على مصر من الغرب . . ونتائجنا فى القريب العاجل سوف تكون ملموسة عندما يهدأ الغبار فى السودان وتثمر خطتنا عن كسر ذلك الامتداد التاريخى والجغرافى الذى يتشدقون به فى القطرين . .

ابحثوا لنا عن إمام آخر نجهزه من الآن حتى يصبح على مشارف الحكم . . يجب أن نجهزه لتكفيه دفعة واحدة منا له إلى الأمام توازيها دفعة أخرى لآخرين إلى الخلف حتى يتمكن . . ونتمكن . .

اتركوا أحمد منصور يشق طريقه بشرعية حزبه وعفوية وطنيته . . هنا ستبدو الديمقراطية قد بدأت فى شق مجراها عندما يتنافس هو وآخرون على مقعد الرئاسة أمام جمال مبارك . . وحتى لو كانت النتائج معروفة من الآن فإن أحد وجوه الديمقراطية الغائبة عندهم هو عدم ظهور حزب معارض يجتمع الناس حوله . . يمكننا من الآن دس رجلنا فى هذا الحزب على أن يكون شابّا من الممكن أن يُمهله عمره لمعركة طويلة نعدها له . . عامل السن ليس فى صالح أحمد منصور . . حتى أغلب من حوله يعانون من ذلك أيضًا . . لعلنا كأمريكيين نحمل فى صدورنا الآن ما يجب أن نخفيه حتى عن أنفسنا من نقد ؛ لأننا تخلينا عما حرصنا عليه طوال تاريخنا من احتلال الأمم بالسياسة والدولار . . وكانت تجربة فيتنام من القسوة التى كان يجب أن تجعلنا نتحاشى تكرارها فى العراق ولم يعد سرّا أمام العالم إصرار الرئيس بوش على هذه الحملة التى ربما تكلفه فَقْد فترة الرئاسة الثانية التى يحلم بها . . وما دام الأمر كذلك فليس لنا إلا نبذ هذه الحملات العسكرية الباهظة التكاليف واحتضان الأداء الأمريكى الأكثر أمانًا . . وذلك بالعودة إلى التآمر السياسى والسيطرة الفكرية والحصار الاقتصادى والإغراء المادى ؛ تلك هى الأساليب التى لا تكلفنا الدماء والنعوش . .

هذا هو طريقنا القادم . . الطريق الذى يجب أن نعد له رجاله فى صمت وتأنٍّ . . والعزاء أن تجربتنا الفاشلة مع إمام إمام لم تتسرب بعيدًا عنا ، ولا توجد إلا فى صدر هذا الرجل الذى بقدر ما كان ذا أهمية بالنسبة لنا فقد أصبح عكس ذلك . . وأنه بقدر ما كان يجب أن يكون لنا سيتحول رغما عنه وعنا إلى عبء علينا . .

يجب أن تضعوه تحت المنظار . . أوقفوا الاتصال به . . استمروا فى تغذية مشروعاته الخيرية وإسنادها إلى رجال من الحكومة المصرية . . وإذا رأيتم أنه تخلّص من رعدة الجسد المصاحبة لذكر اسم المخابرات الأمريكية ، فاعلموا أنه فى طريقه لفضح مخططاتنا وتشويه صورتنا . . فى هذه الحالة سوف لا تجدون مفرّا من أن تجعلوه ينسف نفسه بنفسه ، ويقدم للمجتمع جريمة قتل صاخبة عندما تبلغونه بالحقيقة المفجعة التى

يعيشها فى منزله . . حقيقة أن الرجل الذى يعيش معه ومع زوجته الثانية تحت سقف واحد ليس شقيقًا لزوجته ؛ لأن هذا المساعد لجأ إلى هذه المؤامرة عندما عثر صدفة على سيدة وجدها تشترك معه فى كل أسماء عائلته فزوّجها لإمام سرًا ليحبك خطته الغريبة التى هنأ فيها بمسكن وعشيقة . . (ضعوا هذه الحالة فى دراستكم عن وعورة الشخصية المصرية) . .

فقط كل ما نوصى به هو ألا تنزعوا هذه الورقة من ملفه واستخدامها ضده ، إلا إذا تأكدتم أنه يمثل ضررًا أكيدًا بمصالحنا ، وأنه انقلب علينا ، سيان كان هذا الانقلاب من قبيل الغباء أو من دواعى الوطنية . .

ولكم تحياتى ، ، ،

C . I . A

نائب المدير

* * *

(١٠)

الحكومة المخدوعة

لم تكن عنايات فى شقتها عندما انطلقت عدة أعيرة نارية سمعها الجيران واحتاروا فى تفسير وتحديد مصدرها . . وعندما اقتحمت الشرطة الشقة التى تعلو شقتها على إثر بلاغ من مجهول ينبئ عن وجود قتلى داخل الشقة تملكها الاستياء من هذه الفوضى التى تدور على السلم والهرولة التى تسمع دبيبها فوق رأسها . .

كانت قد أغلقت بابها ، وقد سرت فى جسدها رعشة من الخوف ، وتسلل إلى صدرها بعض الانقباض . . وعندما طال رنين الجرس على بابها راحت تبحث عن شال تطرحه على رأسها وهى تهرول نحو الباب . . وجدت رجلاً كانت تعرف شكله منً سكان المنطقة وقد تملكه الهلع والذعر . .

ـ إمام . . إمام . . راجلك . . راجلك . . سايح فى دمه . . فوق . . فى الشقة اللى فوق . .

قَفَزتْ إلى أعلى ولم تأبه بانحسار الشال عن شعرها وهى تصرخ بلا وعى . .

شاهدته ممدداً وعلى مقربة منه مساعده (فوزى) وزوجته (ملاك) وكلهم مضرجون بالدماء . . كاد رجال الشرطة أن يطردوها ضمن من يسوقونه أمامهم من بشر زحفوا خلفهم إلى أن وجدوها تركع على جثة أحد الرجلين منتحبة فتركوها عندما عرفوا أنها زوجته . . وقبل أن يفكروا فى جذبها لإلقاء بعض الأسئلة عليها كانت قد غرقت فى إغماءة طويلة . .

فى غيبوبتها القسرية زحفت صور الماضى نحوها غائمة . .

«لعلها إحدى مغامراتك النسائية يا إمام . . لم يكن لى أن أوافق على هذه الجيرة التى لم يجد مساعدك غيرها ليقترب - رغمًا عنى - من حياتنا ومعه هذه الشابة التى فجرت فى نفسى نار الغيرة . . كنت أعرف أن حياءك البادى فى معاملتها أمامى ليس إلا نوعًا من التجمل والدهاء . . آثرت الصمت خوفًا من الطلقة الثالثة التى من الممكن أن تصوبها نحوى فى لحظة غضب وتلقينى فى الشارع . .

كم كنت رقيقًا وجبارًا فى آن واحد . . أسلمتَ لى قيادة حياتك منذ صعودنا سلم الكفاح فى جنوب أفريقيا . . أطلقت علىّ لقب (الحكومة) أسوة بما يطلقه أولاد البلد على زوجاتهم فى مصر . .

كم حاولت كبح جماحك وأنا أطالبك ببعض الاعتدال وأنت تبالغ فى توجيه عنفك إلى الآخرين . . حتى أننى أحسست بفقدك عندما رأيتك تتحول أمامى من كتلة حية من الأحاسيس إلى كمية هائلة من الشظايا . . كنت تسترجع كل ما تعلمته من الخواجات وأعجبك فيهم وتقارنه بما وجدت عليه مصر بعد الانفتاح من تردٍّ فى الأخلاق وترهل فى الذمم . .

لقد صرت تتفجر حتى نسفت نفسك وأعطيتهم الخيوط التى شنقوك بها . . وعندما رسونا على شاطئ الإفلاس تغيّرت فيك أشياء كثيرة كان أوضح ما فيها أنك لم تعد تطيقنى ولا تطيق توسلاتى إليك أن تقلع عن الخمر ، حتى أن كراهيتك امتدت إلى الدنيا كلها بما فيها من بشر وأشياء وذكريات ، وكانت فكرة الهجرة إلى بعيد هى المنقذ من الهلاك النفسى الذى استبد بنا . . وكانت المياه و خضرة والناس الجدد فى القناطر الخيرية هم الوجه الجديد الذى واجهنا بابتسامة أمل تدعو لاستمرار الحياة . .

ما الذى كان يحدث معك . . ويحدث منك فى العامين الأخيرين؟ . . لم تكن معى بقدر ما كنت أراك مع أشياء لا أفهمها . . كنت تحدث نفسك وراء باب غرفتنا الذى تغلقه بإحكام خلفك . . خشيت عليك أن يكون بك مس أو خبل . . كنت مذهولاً فى يقظتك . . وثرثارًا فى نومتك . . قالوا لى إن زوجك أخذته انسياسة . . تذكرت ما كنت تهذى به فى ثوراتك ، وماتلعن به الحكّام من ألفاظ سوقية . . ثم تنهى ثورتك بأمنية شاردة «بس يمسكونى البلد دى سنة واحدة . . وأنا أخلّى عاليها واطيها» . .

هل هذه هى السياسة التى كنت مشغولاً عنى بها ؟ . . وكيف يصل بك الحال أن تتورط فى خيانة مساعدك حتى تكون نهايتك على يديه . . ولكن لماذا يُقتل هذا الزوج المخدوع ؟ . . هل قتلته أنت ، أم هو الذى قتل نفسه ؟ . . أم أنى صرت المقتولة بينكما بلا رصاص أو سكين ؟ . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

وعندما امتدت الأيدى لترفع جثث القتلى . . كان هناك خيط رفيع من الدماء يتدلى من فم إمام إمام . . وعندما رفعوا جسد زوجته عنايات الغائبة عن الوعى كانت هناك خيوط كثيرة من التساؤلات تتدلى من وعيها الغائب ، وكان فمها المطبق المشلول المعوج يشير إلى أنها لن تفتحه ذات يوم لتسأل الناس حولها عما حدث لزوجها . .

* * *

أرض الجولف

١٥ / ٨ / ٢٠٠٤

أحمد ماضى

- مهندس معمارى
- خريج كلية الفنون الجميلة ـ الإسكندرية
- رئيس جمعية أصدقاء الصالون الثقافى بالقرضا ـ كفر الشيخ
- عضو اتحاد الكتاب المصرى
- عضو نادى القصة
- يقيم صالونًا ثقافيًا منذ إبريل عام ٢٠٠٠م بقريته (القرضا ـ كفر الشيخ) الاثنين الأخير من كل شهر .
- اشترك فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م (ضابط احتياط).
- أصيب فى العمليات العسكرية وحصل على وسام الجمهورية العسكرى من اللواء التاسع مهندسين وميدالية جرحى الحرب.

إصداراته :

١ـ **«الممر»** الرواية الفائزة بالجائزة الأولى لأحسن عمل أدبى عن حرب أكتوبر . . وبها القصص القصيرة :

ـ **«الدم»** الجائزة الثانية من القوات المسلحة .

ـ **«العودة»** الجائزة الأولى من مجلة الهلال .

ـ **«مأمورية»** الجائزة الأولى من نادى القصة .

٢ ـ **إسكات الماضى** (مجموعة قصص قصيرة).

٣ ـ **الخروج من عالم الأربعة فى خمسة** (مجموعة قصص قصيرة).

٤ ـ **الناى الحزين** (ديوان شعر بالعامية المصرية . . . حول الشاعر عبد العليم عيسى) .

٥ ـ **أوراق شاعر من الزمن الجميل** (حول حياة الشاعر عبد العليم عيسى) .

٦ ـ **جمال عبد الناصر..أمير الفقراء..** (تأملات فى حياة زعيم) .

٧ ـ **صحوة الموت وغفوة الحياة** (إضاءة نقدية) .

٨ ـ **جمرات خابية** «ذكريات» .

٩ ـ **دموع النوارس** «رواية» .

١٠ ـ **لست أنا لكنه اسمى** «رواية» .

١١ ـ **الخوف** «مجموعة قصص قصيرة» .

١٢ ـ **الظلام الدافئ** (رواية) .

١٣ـ **ابحثوا لنا عن إمام آخر** (رواية) .

تحت الطبع :

١ ـ **طائر الشوك** (رواية) .

٢ ـ **كيفية ألا أكون هكذا** (رواية) .

٣ ـ **البلاد وأشلاء العباد** (رواية) .

٤ ـ **مآذن قريتى** (رواية) .